صباح الأنباري

قبل فتح الستار

خمس مسرحيات صائتة

Bfore Opening the Curtain

Five plays By Sabah Alanbari

قبل فتح الستار

خمس مسرحيات صائتة

عنوان الكتـــاب: **قبل فتح الستار - خمس مسرحيات صائتة**
اســـم المؤلـــف: **صباح الأنباري**
المـوضـــــــوع: **مسرحيات**
عدد الصفحات: **190 ص**
القيـــــــاس: **14.5 × 21.5 سم**
الطبعـة الأولى: **1000 / 2019 م - 1440 هـ**
ISBN: 978-9933-38-???-?

© جميع الحقوق محفوظة لدار نينوى
Copyright ninawa

سورية . دمشق . ص ب **4650**
تلفاكس: **+963 11 2314511**
هاتـــف: **+963 11 2326985**

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org
دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
Ayman ghazaly

العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

لا يجوز نقل أو اقتباس، أو ترجمة، أي جزء من هذا الكتاب، بأي وسيلة كانت من دون إذن خطي مسبق من الناشر.

صباح الأنباري

قبل فتح الستار

خمس مسرحيات صائتة

قبل فتح الستار

خمس مسرحيات صائتة

Before opening the curtain

Five Plays

by

Sabah Alanbari

صورة الغلاف:

طه المشهداني في مسرحية صباح الأنباري أسئلة الجلاد والضحية

المحتويات

مسرحية الهبوط شنقاً إلى العالم السفلي ٧
مسرحية طائر البرق المهاجر ٥٩
مسرحية حدث ذات حب ٨٩
مسرحية الجدار ١١٩
مسرحية أولئك أبنائي ١٤٩

مسرحية
الهبوط شنقاً
إلى العالم السفلي

شخوص المسرحية:

سدوم ريتي... زعيم بلاد الشمس

أيرش كيجال... إلهة العالم السفلي

نمتار..... وزيرها

الأنوناكي:

قاضي القضاة

القاضي الأول

القاضي الثاني

أربعة قضاة آخرين

المارد الأول

المارد الثاني

ابنة سدوم الصغرى

شفلق..... رفيق سدوم في السلاح والكفاح

الرجل الأول.... رفيق سدوم في السلاح والكفاح

رجلان أو ثلاثة مرافقين للرجل الأول وهم من رفاق سدوم أيضاً

مجموعة من الأرواح الشريرة

مجموعة من الراقصين

مجموعة من المحتجين

الفصل الأول

المنظر:

{ينقسم المسرح على قسمين: علوي يمكن أن نطلق عليه تمييزاً له عالم الأنوار، وسفلي يمكن أن نطلق عليه عالم الظلمات. في العالم الأول نرى الشمس مشرقة من خلال الغبار فيبدو ضوؤها أصفر مائلاً إلى الأفول. ثمة منصة للشنق في منتصف المكان ومن فوقها يتدلى حبل مشنقة بعقدته التقليدية، وعلى الخلفية نرى من خلال الغبار أشباح أبنية ومعالم حضارية مختلفة: جنائن معلقة، أسد بابل، بوابة عشتار، المدرسة المستنصرية متداخلة مع أبنية محدثة الطراز.

في العالم الثاني لا نكاد نبصر شيئاً محدداً فالظلام يغلفه تماماً وإذ تسطع الشمس بقوة فإننا نرى شواخص العالم السفلي بصعوبة بالغة: عرش إلهة العالم السفلي (أيرش كيجال) حيث تجلس متكئة على صولجانها شبه غافية، وإلى جانبها يقف بلا حراك وزيرها (نمتار). ثمة جثث مثبتة بمسامير على جدران سود شبه معتمة. مردة العالم السفلي والأرواح الشريرة يتوزعون على أرجاء المكان بأشكالهم وهيئاتهم المخيفة.}

*

المشهد الأول
أيرش كيجال إلهة العالم السفلي

مُصْمَت تمهيدي:

تتوهج الشمس في عالم الأنوار، وتطلق الأبواقُ أصواتها منذرة ببدء النهاية لمحكوم بالإعدام شنقاً... نرى مجموعة من الرجال بملابس مختلفة وهم يتطلّعون لإتمام الشنق... يمسك اثنان منهم يدي الرجل المقيّدتين... يبدو الرجل غير مبال بالموت... يقف على دكة المشنقة أو لنقل تحديداً على بوابتها السفلية بثبات... تسلّط عليه حزمة دائرية من الضوء تدريجياً مع الموسيقى... يبتسم باستخفاف... يضع أحدهم الشِّناقَ في رقبته، وينسحب إلى الوراء... تفتح البوابة السفلية التي يقف عليها منتصباً، وغير مبالٍ بالموت ومع ضربة صنج مدوية يسقط على إثرها متدلياً أسفل فتحة البوابة... تختفي دائرة الضوء تدريجياً مع الموسيقى... وتدريجيا تعاود توهّجها على المشنوق ثانية وهو يتدلى في عالم الظلمات... تضيء المكان بضعة أضواء زرق خافتة تتيح لمن في الصالة رؤية ملامح عالم الظلمات وبعض تفاصيله... يتوزع عدد من مردة العالم السفلي بأشكالهم الغريبة، وهيئاتهم المخيفة حول الرجل المشنوق... ترفع إلهة عالم الموتى (أيرش كيجال) رأسها لترى القادم الجديد... تَحْدِجُهُ بنظرة مخيفة. تشير إليه بصولجانها فيتقدم أحدهم منه... يشير بسبابته إلى الحبل... يحرّك سبابته إلى الأسفل مرة بعد أخرى فيمتدّ الحبل بالمشنوق إلى أن تلامس قدماه الأرض... يشير بكفه ما يدل على القطع فينقطع الحبل ويسقط المشنوق في حفرة هي أقرب

إلى القبر منها إلى أي حفرة أخرى. تحرّك المرأة صولجانها بشكل دائري فيدور الجميع حول الرجل المشنوق... تنطلق الموسيقى... يتحركون ببطء أول الأمر ثم تزداد سرعتهم شيئاً فشيئا... تتحول حركتهم إلى رقصة طقوسية بدائيّة تمثل القبض على روح الميّت الجديد. تقف المرأة فجأة فيتوقف الجميع عن الحركة... تشير بصولجانها إلى الرجل المشنوق فيفتح عينيه... ينهض. يحرك يديه... يتخلّص من الحبل... يتحسس رقبته بأصابعه... يحرّك رقبته ببطء شمالاً وجنوباً. يرفع رأسه إلى الأعلى... ينظر إلى ما تبقى من الحبل النازل من العالم العلوي أو من البوابة الفاصلة بين العالمين... يرى خيطاً من النور الهابط من فتحة مستقيمة صنعها بقاء الحبل بين فردتي بوابة الشنق، ثم ينظر إلى المرأة فيبتسم لها بمكر ودهاء... يتقدّم منها... يركع أمامها محني الرأس بخضوع. يظلُّ على وضعه حتى تشير عليه بالوقوف فيقف بخشوع وخنوع. تنظر إليه... تتحرك باتجاهه... تدور حوله دورة كاملة، ثم تعود إلى عرشها... تجلس وهي لا تزال تمعن النظر إليه... تشير بسبّابتها نحوه بغضب فيتقدم اثنان من أتباعها الأشدّاء. يقيّدونه ويمسكون برؤوس الحبال الملتفّة حوله. تشير لهم بصولجانها إلى الجثث المعلقة بالمسامير على الجدران فيسحبونه نحوها. يرفعونه إلى حيث يعلق الموتى بالمسامير منتظرين أمرها الأخير... يحافظ على رباطة جأشه... يسيّطر على مخاوفه بطريقة عجيبة... يبتسم قليلاً. تفاجأ إلهة الموت (أيرش كيجال) بصلابته، وصلافته، واستهتاره بالموت... تشير عليهم بالتوقّف وفكّ حباله فوراً... تشير له بالتقدم منها فيفعل... تحدّق في عينيه مثبتة فيهما نظرة الموت لكنه يواجه نظرتها بابتسامة ماكرة... ينحني لها باحترام كبير... يستقيم واقفاً... يرى وزيرها الواقف إلى جانب العرش فينحني له بمكر...

يهم الوزير بالتحرك لكنها توقفه بإشارة منها... تضع مؤخرة الصولجان في صدر الرجل المشنوق... تدفعه برفق إلى الوراء فيتراجع بحركة تتناغم مع حركتها... يقف عندما تقف... يتحرك شمالا وجنوبا عندما تتحرك... يدور حول نفسه عندما تدور حول نفسها... تزأر بوجهه لكنه يقف هادئا بلا ردة فعل... تعود إلى عرشها... تجلس بوقار يليق بها.

أيرش كيجال : (بسبّابتها تشير للرجل المشنوق بالاقتراب منها) أتعرف من هي أيرش كيجال؟

سدوم ريتي (ينحني أمامها بوقار) مولاتي العظيمة أيرش كيجال إلهة العالم السفلي. عالم الموتى. العالم الذي لا عودة منه أبداً، والطريق الذي لا رجعة لمن سار عليه (ينظر صوب رجل يقف إلى جوار العرش) وان لم أخطئ فهذا الذي يقف إلى جانب عرشك العظيم المقدس هو وزيرك المخلص نمتار (يهم الوزير بالتحرك لكنها توقفه بإشارة من صولجانها. ينحني لها الوزير طائعاً).

أيرش كيجال : لم يأتِ أحد إلى عالمي إلا وهو يرتجف خوفاً وذعراً مني.

سدوم ريتي : (بدهاء) ليس منك أيتها الإلهة الجليلة بل من الموت. كلّ الذين أتوا إلى عالمك لم يرغبوا برؤيته وجهاً لوجه.

أيرش كيجال : وأنت؟

سدوم ريتي : أنا أردت رؤية وجهك ذي الجمال، والجلال، والإكرام، والقداسة.

أيرش كيجال : أمن أجل رؤية وجهي غادرت عالم الأنوار، وجئت إلى عالم الظلمات؟

سدوم ريتي : بكل فخر... نعم.

أيرش كيجال : إنك لكذاب خطير.

سدوم ريتي : أنا!

أيرش كيجال : نعم أنت أيها الفاني إلى أبد الآبدين.

سدوم ريتي : لا حاجة بي إلى الكذب يا مولاتي.

أيرش كيجال : إذن قل بحق الآهة العظام لماذا شنقوك؟ (بصوت مشوب بالشك، والسخرية) هل طلبت منهم ذلك؟

سدوم ريتي : (بثقة عالية) بل أرغمتهم على ذلك.

أيرش كيجال : كيف أيها الرجل الهالك؟

سدوم ريتي : هل تسأل إلهة العالم السفلي عن ذلك حقا؟

أيرش كيجال : (بانزعاج، وحسم) عندما أسأل فما عليك إلا أن تجيب حسب.

سدوم ريتي : (ينحني لها) سمعاً وطاعة يا ملكة العالم السفلي. المسألة ببساطة هي أنك أجَّلتِ تعليق جثتي على ذلك المسمار مع أنه لم يسبق أن أجَّلتِ جثةً من الجثث وإن كانت جثة أقرب الناس إليك.. ألم تأمري حاجب مملكتك نيتي أن يجرد شقيقتك، وندّك الأكبر إلهة عالم الأنوار، وأرض الشمس إنانا من كلّ شيء جاءت به من ذلك العالم

(يشير إلى الأعلى) حتى ملابسها؟ ألم تعلّقيها على ذلك المسمار وتجعلي من جثتها مأدبة للأرواح الشريرة؟

أيرش كيجال : (بانفعال وانتهار) دعك من شقيقتي إنانا وقل فوراً إلى مَ تريد الوصول أيها الرجل الفاني؟

سدوم ريتي : وهل تسمح إلهة العالم السفلي أن أقول ذلك في حضرتها دون أن تغضب من عبدها الفاني سدوم؟

أيرش كيجال : نعم.

سدوم ريتي : (يشير متردداً بيده، وفمه لتأذن له حقا)

أيرش كيجال : قل.. قبل أن آمر سدنة الظلام بتعليقك على ذلك المسمار (تشير إلى المسمار الذي لم تعلق عليه جثته) لقد أذنت لك.

سدوم ريتي : أنا يا سيدة العالم قدمت إليك كي أعمل في إمرتك، بعد أن حدث ما حدث، لأجنبك ما قد حيك ضدّك من المؤامرات للإطاحة بمملكة العالم السفلي، وتدميره تدميراً كاملاً شاملاً.

نمتار : (متدخلاً بعد أن نفد صبره) سيدتي.. لقد تجاوز هذا المأفون أكثر مما سمحتِ له.. دعيني أعلّقه حيثما يجب كي لا نتركه يتمادى في خرق نواميس آلهتنا.

سدوم ريتي : من أجل عرش مولاتي إلهة العالم السفلي عليك أن تفعل كلّ ما من شأنه الحفاظ عليه أيها الوزير نمتار.

نمتار : مولاتي سيدة العالم السفلي.. هذا ما لم تسمح به الآلهة، ولا أستطيع حمل عبئه على كاهلي.

سدوم ريتي : (بتملق واضح) لا عليك أيها الوزير نمتار أنا سأقوم بمساعدتك بعد أمر مولاتي طبعاً.

نمتار : ومن أنت حتى تقوم بما لا طاقة لك عليه. (يلتفت إلى أيرش كيجال. ينحني لها) مولاتي دعيني أعلّق جثته من أجل ناموسنا.

سدوم ريتي : لِمَ تستعجل تعليقي أيها الوزير نمتار (بخبث) ألا يهمك أمر مولاتي ملكة العالم السفلي! أتفضل الناموس عليها في الوقت الذي يمكن للآلهة أن تغيّره من ألفه إلى يائه!

أيرش كيجال : ماذا جرى لك يا وزيري! أهذا جزاء اختياري لك، وتعييني إياك وزيراً على مملكتي التي لا تضاهيها ممالك الأرض كلّها!

سدوم ريتي : لا تلوميه يا مليكتي. إنه يتحدث بدافع حرصه على الناموس الإلهي الذي هو عنده فوق كلّ شيء حتى أنت يا ملكة العالم السفلي.

نمتار : (بعصبية) اخرس.

سدوم ريتي : عفوك سيدي أنا لم أتحدث إلا بعد أن أذنت لي مولاتي ملكة العالم السفلي. ولا أستطيع السكوت إلا بأمرها. (الوزير نمتار يكتم غيضه وغضبه مرغماً).

أيرش كيجال : هيه... قل لي يا...

سدوم ريتي : (بسرعة وتملق) سدوم يا مولاتي.

أيرش كيجال : قل لي يا سدوم... من هي تلك التي تريد زعزعة عرشي الثابت إلى أبد الآبدين؟

سدوم ريتي : ليست شقيقتك إنانا بالتأكيد.

أيرش كيجال : إذن... من غير شقيقتي إنانا تجرأ على فعل هذا.

سدوم ريتي : ليست شقيقتك بالتأكيد يا مولاتي.. شقيقتك لم يعد لها وجود في أرض الشمس.

نمتار : (بغضب) اخرس يا هذا ولا تذكر الآلهة بسوء (إلى أيرش كيجال) مولاتي. هذا الرجل الفاني يريد التقليل من شأن الآلهة العظام. دعيني أعلّقه لنتخلص من هذيان الموتى، ونتجنب غضب الإله انو.

أيرش كيجال : صبرك، وحلمك عليه يا وزيري، لا يزال في جعبته الكثير مما أريد معرفته الآن.

نمتار : (ينحني لها) لك هذا يا مولاتي. أردت تذكيرك فقط أن الإله آنو لا يغفر ذنبا كذنب هذا المستهتر بالموت، وسيصبّ جام غضبه علينا إن لم نصب جام غضبنا على هذا الدعيّ الكذّاب.

أيرش كيجال : لا عليك يا وزيري. عندما أحضر اجتماع مجلس الآلهة في السماء سأقنع الإله آنو بما سأقوم به دفاعاً عن نواميسه السبعة المقدسة. (إلى سدوم) هيه.. تكلم.

سدوم ريتي : سأتكلّم يا مولاتي ولكن دعيني أقول لوزيرك نمتار إن الأمور تغيّرت في عالم الأحياء، وإنه معذور يا مولاتي لأنه لا يعرف إلا ما منحته له الآلهة من علم بعالم الموتى، ولم تمنحه مثل ذلك العلم عن عالم الأحياء. (تنظر إلى وزيرها مؤكدة ما سمعته من سدوم. ينحني الوزير راضخاً) الآن قل لي يا وزير مولاتي (مغيّراً نبرة صوته) بعد إذنها طبعاً... هل تعرف أن نفط العالم السفلي هو سر المؤامرات التي تحاك ضد مولاتي؟

نمتار : نفط! نفط العالم السفلي! ماذا يكون هذا النفط غير بدعة أو لعبة تريد بها الوصول إلى مآربك الخبيثة. (إلى أيرش كيجال) هل سمعت يا مولاتي بهذا الذي يسميه نفطاً في عالمنا السفلي؟ ثم ما علاقة هذا بما يحاك لمولاتي من المؤامرات؟

سدوم ريتي : (غير مبال بنمتار) مولاتي، أكاد أجزم إن بلاد الشمس تطفو على بحر من النفط.

أيرش كيجال : (بنفاد صبر) اسمع يا هذا إما أن تقول لنا ما النفط، وأما أن تذهب بنفسك وتعلق جثتك على مسمارك الصدئ ذاك.

سدوم ريتي : مولاتي ملكة العالم السفلي. قد هدني تعب الموت، وجفف الشنق ريقي فهل تأمر لي مليكتي بشيء أبل به فاهي، وأسكت به أصوات معدتي الصائتة؟

أيرش كيجال : أنسيت أن طعام الموتى هو التراب؟ هل تريد طعاما يغلق فمك إلى أبد الآبدين؟ دع أمر الطعام والشراب، واخبرني عن هذا الذي أسميته نفطاً.

سدوم ريتي : يا سيدتي المباركة، إنه يشبه الزيت الذي تنيرين به أركان عالمك الملكي المظلم. يستخلصون منه شتّى أنواع الوقود الذي يستخدمونه في شتّى مجالات الحياة، وهو قبل هذا وبعده صار المصدر الأول لثراء بعض الأقطار والأمصار، والأقاليم حتى صارت تلك الأقاليم موضع اهتمام، وطمع القاصي والداني.

أيرش كيجال : وما علاقة هذا بما يحاك ضدّي؟

سدوم ريتي : أنا أقول لك يا مولاتي. لقد سيطرت زمرة من شياطين الأرض على آبار النفط بوسائل مختلفة بعد أن ترك الآلهة العظام الأرض مغادرين إلى السماء. صنعوا ما يفوق تصورنا من أسلحة الدمار، والدمار الشامل، ولم تستطع الآلهة إيقافهم بل إنها صارت تخشى على نفسها منهم. لقد سقطت عروشها العظيمة المصنوعة من الذهب واللازورد فولّت هاربة إلى السماء مستغيثة بالإله آنو علّه يعيد إليها عروشها المدمرة.

نمتار : إنك تهرف بما لا تعرف، وتسيء إلى آلهتنا العظام متناسياً أن الخلود من حصة الآلهة، وأن الفناء من حصة البشر (إلى أيرش) مولاتي ملكة العالم السفلي. لا أظن أنك راضية عما في جعبة هذا الدعيّ الأفاق.

سدوم ريتي : معذور أنت يا سيدي الوزير فليس لك من واسطة تعرف من خلالها ما يحدث في عالم الأحياء. لقد تغيّر حال الدنيا، وكثرت فيها وسائط النقل والاتصال. أما عالمكم السفلي هذا فليس له من وسائط الاتصال بالأحياء إلا الموت لهذا ظلت معرفتكم بما يحدث فوق عالمكم السفلي غائبة تماماً فبوابة عالم الظلمات لا يفتحها الحاجب نيتي إلا لاستقبال الموتى من البشر الفانين.

نمتار : هل تعني أن علينا الاستسلام لمشيئة البشر، وأن مليكتي سترضخ لا سامح آنو لشياطينكم؟

سدوم ريتي : من قال لك هذا يا سيدي الوزير؟ ثم ألم أقل إنني جئت من أجل مولاتي أيرش كيجال؟

نمتار : أرأيت يا مولاتي؟ أرأيت كيف يتطاول هذا علينا بلعب دور المنقذ لك، والمخلِّص لمملكتك من دمارهم المزعوم؟ مولاتي لندع الأنوناكي (القضاة السبعة) يصدرون عليه حكمهم العادل، ولنسلّط عليه الأرواح الشريرة كي تعذّبه العذاب الذي يستحق شأنه شأن الموتى من أمثاله.

سدوم ريتي : أنا لا أعرف حقاً لماذا تستعجل تعليقي على مسمار الموت في الوقت الذي أريد فيه خدمة مليكتي المقدسة! أعرف أن الأنوناكي ينتظرون إصدار الحكم عليّ بفارغ الصبر ولكن ليس قبل أن أبرهن لها على قدرتي الفائقة على ردع ما يحاك ضدّها في أرض الشمس.

نمتار : وكيف تبرهن على ذلك وقد سلبنا منك إرادة البقاء حياً؟

سدوم ريتي : أولاً دع مسألة الإرادة جانباً لأنها متعلقة فقط بمولاتي ملكة العالم السفلي، وهي وحدها القادرة على سلبها أو منحها لمن تشاء. ثانياً إنك تنسى يا سيدي الوزير إن مليكتي لا تزال محتفظة بسلطة الموت وهي سلطة لا تعلو عليها أية سلطة على الأرض، وإن ما تحتاجه فقط هو من يوجّه هذه السلطة للقضاء على من يناوئها وأنا رهن إشارة مولاتي (ينحني لها باحترام جم).

نمتار : إذن... أنت تريد العودة إلى عالم النور مرة أخرى.

سدوم ريتي : بصدق... نعم.

نمتار : لا أحد يستطيع ذلك على الإطلاق.

سدوم ريتي : ليس على الإطلاق يا سيدي الوزير.

نمتار : بل على الإطلاق أيها الفاني.

سدوم ريتي : هل نسيت أن شقيقة مولاتي ملكة بلدان الأرض عادت إلى عالم النور بعد أن كانت جثة هامدة في عالم الظلام؟

نمتار : هذا شأن إلهي.

سدوم ريتي : نعم... هو كذلك.

نمتار : إذا كانت شقيقة مولاتي قد شفع لها والدها الإله أنكي صانعاً لها من وسخ أظافره الكوجرو والكالاترو لإعادة الحياة إليها فمن من الآلهة العظام سيشفع لك أيها المستهتر بالموت؟

سدوم ريتي : (بثقة عالية بالنفس) مولاتي إلهة العالم السفلي، أتشك بقدرتها وهي القادرة على فتح بوابات العالم السفلي السبع أمام خادمها المطيع سدوم ريتي بإشارة صغيرة من صولجانها المقدس؟

نمتار : (محرجاً) لا... لا شك بقدرة مولاتي ولكن...

سدوم ريتي : لكن ماذا يا وزير مولاتي؟

نمتار : (مرتبكاً) ها؟ لا... لا شيء... لا شيء.

سدوم ريتي : مولاتي ملكة عالم الظلمات علينا أن نعمل جاهدين لإنقاذ عالمك السفلي من شياطين الأرض. لقد احتلوا بلادي، وعاثوا فيها فساداً، وأذلّوها، ومنها سينفذون إلى أقطار مملكتك الشاسعة فان لم يستطيعوا ذلك فإنهم سيفجرونها تفجيرا، وسيحرق النفط الذي يطفو فوق مملكتك المقدسة الموتى، وخزائن العالم السفلي.

أيرش كيجال : قل لي يا سدوم وإياك إياك والكذب لماذا هربت منهم حتى أمسكوا بك وحاكموك ثم شنقوك؟

سدوم ريتي : أنا لم أهرب يا مولاتي فقط أخفيت نفسي عنهم، والتجأت إلى مكان آمن يحميني من غضبهم ريثما ترجع الأمور إلى سابق عهدها فأعاود الظهور ثانية.

أيرش كيجال : لكنك لم تظهر ثانية.

سدوم ريتي : بل ظهرت يا مولاتي. لقد منحني الإله سين بركته فظهرت على وجه ابنه القمر، وقد رآني آلاف من أتباعي الواثقين من عودتي.

أيرش كيجال : سمعت بعد رحيل شقيقتي عن عالمكم أنكم أصبحتم لا تؤمنون بآنو.

سدوم ريتي : يا مولاتي إننا نطلق عليه كلمة الله كما يطلق عليه أقوام أخر اسم God وآخرين اسم جهوفا وانتم تطلقون عليه اسم آنو.

أيرش كيجال : إذن لماذا لم تستعن بالله؟

سدوم ريتي : ليس من مصلحتي أن افعل ذلك يا مولاتي.

أيرش كيجال : لأنه لا يستجيب لك، ولأنك لا تؤمن به.

سدوم ريتي : كلا يا مولاتي فأنا قدت أكبر حملة ضدّ الكفر والإلحاد، واستطعت بظرف وقت قصير أن أزهق أرواح آلاف الكافرين في سبيل الله.

أيرش كيجال : إن كنت مؤمناً حقا فلماذا شنقوك؟

سدوم ريتي : لأنهم من الكفّار يا مولاتي، وقد شنقوني ثأراً وانتقاما لقتلاهم من المجرمين (مغيرا مجرى الحديث بخبث) مولاتي... الموت فوق الأرض مرحلة أولى من الموت الكلّي الذي يسبق الدخول إلى عالمك السفلي. إن الموت الكامل لا يكون إلا على يديك، وبأمر منك، وعلى وفق ما قرر الآلهة العظام في نواميسهم، وبما أنني انتقلت إلى عالمك فان عليَّ لعب الدور المطلوب لإرجاع كلّ شيء إلى محله الصحيح. إن مصلحة عالمينا تقتضي هذا يا مولاتي، وإن الآلهة العظام سيكافئونك عليه عظيم المكافأة.

أيرش كيجال : لكنك ستطيح بأعداد كبيرة من الرؤوس وستجعل الموت يلتهم البشر جميعا.

سدوم ريتي : ليس جميعا يا مولاتي، فقط أعداؤك وأعدائي من الخونة والمرتدّين.

أيرش كيجال : حسنا يا سدوم ولكن عليك أولا أن تمثل أمام الأنانوكي ليقرروا ذلك بعد مقاضاتهم إياك، وعليك أن تثبت لهم حسن نواياك، واعلم أنهم يعرفون كلّ شيء عن حياتك السابقة فلا تكذب عليهم، ولا تدّعي ما ليس لك، واحذر من غضبهم عليك، وتذكر وأنت تمثل بين أيديهم أنهم يحتفظون بسجلي سيئاتك، وحسناتك.

سدوم ريتي : سأتذكر كل هذا يا مولاتي المقدسة.

أيرش كيجال : (إلى وزيرها) نمتار.

نمتار : لبيك يا مولاتي.

أيرش كيجال : ليعقد الأنانوكي مجلسهم فوراً.

نمتار : فوراً يا مولاتي (تشير بصولجانها فتطفأ الأضواء).

المشهد الثاني
محكمة الأنوناكي

مُصْمَت تمهيدي:

تفتح الأضواء الزرق الباهتة على قاعة المحكمة التي طليت جدرانها باللون الأزرق الداكن مع لطخات زرق وامضة - على الجدار الخلفي المواجه لجمهور النظارة - توحي بوجود مخلوقات عجيبة وغريبة ومخيفة في آن واحد، وعلى الجدارين الجانبيين ثمة أفواه كبيرة بأنياب طويلة تقطر دما. يتدلّى من أعلى وسط الجدار الخلفي ما يشبه ميزان العدل بكفتين تلفظان ألسنة من لهب... يدخل القضاة (الأنوناكي) مخترقين الأفواه المفترسة وكأنهم يدخلون من خلالها، بينما يدخل قاضي القضاة مخترقاً الجدار الخلفي... يجلسون على الأماكن المخصصة لكلّ منهم بعد أن يأذن لهم قاضي القضاة بذلك... تتركز دائرة من الضوء على قاضي القضاة وهو يرتدي الملابس الزرق الداكنة... يفتح صفحة من المجلّد الضخم الأزرق الموضوع أمامه... يضرب الطاولة بمطرقته الكبيرة الزرقاء فيدخل اثنان من المردة وهما يجرّان سدوم كلّ من يد ليمثل أمام قاضي القضاة... يركع سدوم بأدب جم... ينسحب بهدوء ليدخل قفص من لهب غير مبال بالنار... يقف الماردان على جانبي القفص... يضرب قاضي القضاة بمطرقته ثانية فتجمد الحركة تماماً... يدخل عدد من المردة ذكوراً وإناثاً... يؤدون طقوساً كهنوتية سابقة، وممهدة لبدء المحاكمة الكبرى...

ينسحبون أثناء الطقس تباعاً... يضرب قاضي القضاة بمطرقته ثالثة... تدخل مجموعة من الأرواح الشريرة... تقف قبالة المتهم متأهبة للانقضاض عليه عندما يشير القاضي لها في أية لحظة يقرر فيها إدانة المتهم... ترعد الأرواح الشريرة وتزبد كلما نطق المتهم كذباً... نسمع صوت قاضي القضاة المروع وهو يوجه أمره للمتهم:

قاضي القضاة : ما اسمك أيها الفاني؟

سدوم ريتي : سدوم بن غول الملقب سدوم ريتي قائد حراس بلاد الشمس.

قاضي القضاة : أنت متهم بقتل من سبقك إلى دست الحكم، ودفن آلاف من رعاياك وهم أحياء يرزقون. وضح للمحكمة الأسباب التي دعتك للقتل العمد.

سدوم ريتي : سيدي قاضي القضاة. فيما يتعلق بمن سبقني فالوثائق التي بين أيديكم تثبت أنه تنازل عن العرش طوعاً، ولم يرد الاستمرار فيها لمرض عضال ألمّ به، ومات بعد ذلك بوقت قصير (الأرواح الشريرة تطلق أصواتاً منددة بينما يتصنع سدوم الدهشة، والاستغراب) وأما ما يخص رعيّتي فإنني ما قتلت أحداً منهم إلا وهو يستحق القتل (تكرر الأرواح الشريرة تنديدها بأقوال سدوم وهو غير عابئ بها) وكلّ هذا كان بمشيئة الآلهة.

قاضي القضاة : لكن الآلهة لم توص بالوأد.

سدوم ريتي : حين يتصرف الرعية خلافاً لما يقرره راعيهم فأنهم يغضبون الآلهة. وأنا بعد أخذ كلّ شيء بنظر الاعتبار لا أريد للآلهة أن تغضب بسبب حماقات الرعية (تطلق الأرواح احتجاجها. يتشاور القضاة فيما بينهم. القاضي موجها الكلام إلى سدوم)

قاضي القضاة : وماذا عن رميك لهم في أتون حروب مدمرة أزهقت آلاف أو ربما ملايين الأرواح منهم.

سدوم ريتي : لم يكن لدي خيار على الإطلاق. لقد أجبرت على الحرب بعد شروع العدو بانتهاك بقعاً عزيزة من بلادي، وإن الجهاد يقتضي تلبية نداء الحرب (تزبد الأرواح الشريرة وترعد. يتشاور القضاة مرة أخرى. ثم يوجه الكلام إلى سدوم).

قاضي القضاة : لقد اتخذتَ قرار الحرب ولم تستشر أحدا من قوادك مع أنك لم تتعلم قواعد الحرب وفنونها في مدرسة حربية مما جعلك تفقد آلافا منهم في كلّ معركة خضتها مع من أسميتهم أعداء بلادك.

سدوم ريتي : هذا صحيح يا سيدي القاضي فالنظام الذي وضعته لبلادي يقتضي ذلك.

قاضي القضاة : هذا يعني أن جميع السلطات كانت حكراً عليك، وأن قوادك ما كانوا سوى بيادق تحركهم كيفما تشاء.

سدوم ريتي : ليس تماما يا سيدي القاضي (الأرواح تحتج).

قاضي القضاة : ماذا تعني؟

سدوم ريتي : أعني أنهم كانوا يفعلون ما ينبغي عليهم فعله دون الرجوع إليّ في أغلب الأحيان (الأرواح تطلق زئيرها المخيف بينما لا يعيرها سدوم انتباهاً).

قاضي القضاة : إذن... إنهم يعرفون ما تريد القيام به فيفعلون.

سدوم ريتي : أليس هذا من سمة القيادة الحكيمة يا سيدي القاضي؟

قاضي القضاة : لكن القيادة الحكيمة حكمت على احدهم بالسجن والتعذيب لمجرد أنه حل محلك في حلم عابر راوده.

سدوم ريتي : ليس لي علم في الأحداث الثانوية، والطفيفة يا سيدي القاضي (تهر الأرواح وتخر مستنكرة).

قاضي القضاة : (يلتفت يميناً وشمالاً. يرفع المطرقة إلى الأعلى ولا ينزلها. سدوم ينظر إليه بقلق شديد، ويتابع حركاته بتوجس. يضرب المنضدة فينهض قاضي الادعاء).

القاضي١ : استناداً إلى الجرائم الموثّقة التي ارتكبها المجرم الماثل أمامكم فإنني ادعوا قداسة المحكمة الموقرة إلى إنزال أقسى العقوبات بحقه، وان تطلق أيدي الأرواح الشريرة (يشير إليهم) لتنال منه الجزاء الذي يستحق لاستهتاره بأرواح البشر جميعاً، وزهق الآلاف منها، ووأد المئات دون أسباب وجيهة، أو مبررات قانونية، أو موجهات ناموسية ولكم الأمر فيما تقررون.

قاضي القضاة : يشير إلى القاضي الجالس في الطرف الآخر المقابل لقاضي الادعاء فينهض) تفضل بقول ما لديك.

القاضي٢ : سيدي قاضي القضاة. لقد جاء هذا الرجل الميت الماثل أمامكم بأخبار ما بعد اندحار إلهة الأرض إنانا، وفرارها إلى السماء على أيدي شياطين الأرض الأشدّاء، ولما كانت فرق الأرواح الكشافة قد نقلت لنا أخبار ما حدث فوقنا لذا أرى أن يوضع هذا الرجل موضع الاختبار، وأن يمنح فرصة واحدة لإعادة كلّ شيء إلى نصابه، ولنتجنب به الدمار الشامل الذي سيلحق بمملكة العالم السفلي على وفق ادعائه، وأن نحيل أمره إلى مليكتنا المقدسة أيرش كيجال ولكم الأمر فيما تقررون (يجلس في محله. يتشاور القضاة فيما بينهم قبل أن يصدر قاضي القضاة الحكم على سدوم).

قاضي القضاة : (يضرب بمطرقته) يحال أمر سدوم بن غول إلى مليكتنا المقدسة أيرش كيجال للموافقة على اختباره، على أن يعاد إلينا في وقت لاحق لاستكمال محاكمته وإطلاق حكمنا النهائي عليه (يضرب بمطرقته المنضدة فتطفأ الأضواء).

*

المشهد الثالث

مُصْمَت تمهيدي: عرش أيرش كيجال

تشير أيرش كيجال وهي جالسة على عرشها بالصولجان فيدخل الماردان وهما يجران سدوم من يديه... ينحنيان لها فتشير لهما بالخروج... يخرجان... تشير على سدوم بالتقدم فيتقدم منها... ينحني لها، ويظلّ منحنياً حتى تأذن له... يدخل نمتار... يتوجّه إلى أيرش كيجال... يهمس في أذنها... تضرب الأرض بصولجانها... يقف سدوم وقد أخذت الحيرة منه كلّ مأخذ... تشير الإلهة إليه فيتراجع إلى الخلف مرتبكاً... تنهض الإلهة... تتقدم من سدوم... تقف وراءه... تضع يدها اليسرى على كتفه الأيسر، وتشير بالأخرى الممسكة بالصولجان إلى الأعلى... تهبط مع الموسيقى كتل من الدخان الملون الذي يتشكل على هيئات غريبة ومريبة... تبتعد عن سدوم بحركة سحرية... تشير لكتل الدخان بالهبوط على سدوم... يهبط الدخان متلبساً هيئة سدوم فيتحرك سدوم وكأنه يطير في فضاء لا يحدّه حد... يبقى معلقاً في الفضاء وبحركة من صولجانها يسقط على الأرض فينتبه لنفسه متأملاً ما حدث له منذ لحظات قلائل... ينظر إلى أيرش كيجال وقد علت ملامحه الدهشة... تشير له بالاقتراب منها... يقترب... ينحني لها... يهمّ بالكلام فتسكته بإشارة سريعة... يدخل الوزير نمتار... يدنو منها... يهمس في أذنها وهو ينظر في عيني سدوم... تقف منتفضة... تضرب الأرض بصولجانها فيدخل ماردان...

ينحنيان لها... تغزرهما بنظرة شزراء فينسحبان ببطء... يقفان إلى جانبي سدوم... توجه كلامها إليه بشكل مباشر.

أيرش كيجال : اصغِ يا سدوم.

سدوم ريتي : كلّي آذان صاغية يا مولاتي.

أيرش كيجال : سأسمح لك بالخروج من العالم السفلي ولكن... لا يمكنك الخروج إلا ببديل يحل محلك على أن يكون البديل من عائلتك فمن منهم تختاره بديلاً؟

سدوم ريتي : زوجتي بالتأكيد يا مولاتي.

أيرش كيجال : (تفكر) إنها لا تصلح بديلاً فالموت قاب قوسين منها وستحضر إلى مملكتي في القريب العاجل.. من غيرها يا سدوم.

سدوم ريتي : مولاتي... هل يمكن أن تسمحي لي باختيار بديل من رعيتي؟

أيرش كيجال : لا. لا يمكن... بناتك فقط.

سدوم ريتي : ولماذا بناتي يا مولاتي.

أيرش كيجال : لعدم وجود من يقبل بالتضحية نيابة عنك حتى بناتك عندما يعرفن عن الجحيم الذي في انتظارهن فإنهن سيعزفن عن التضحية.

سدوم ريتي : مولاتي أتوسل إليك أن تمنحيني فرصة التضحية بواحد أو واحدة من الرعية.

أيرش كيجال : في هذه الحالة أنا مضطرة للاختيار نيابة عنك.

سدوم ريتي : لك هذا يا مولاتي وسأكون سعيداً بأي اختيار.

أيرش كيجال : إذن... ابنتك الصغرى هي الخيار.

سدوم ريتي : ولماذا الصغرى يا مولاتي؟ أما كان بإمكانك اختيار كبرى بناتي على سبيل المثال؟

أيرش كيجال : الصغرى هي أقربهن إلى قلبك، وربما هي من سيقبل التضحية فأما أن توافق بلا سجال أو أن يلغى اختبارك من أساسه.

سدوم ريتي : كلا يا مولاتي كلا... أنا موافق على حسن اختيارك.

أيرش كيجال : هذا يعني إنك موافق على دخولها إلى ملكوت الجحيم.

سدوم ريتي : نعم يا مولاتي... موافق.

أيرش كيجال : لهذه الدرجة تفضل نفسك على صغرى بناتك!

سدوم ريتي : هذا ما يقتضي الحال يا مولاتي المقدسة. ألم يضحي إسماعيل بولده من أجل الإله؟

أيرش كيجال : لكنك تضحي بابنتك من اجل نفسك لا من أجل الإله.

سدوم ريتي : لا فرق يا مولاتي الأب في أسرته هو رب كبير، وعليها طاعته حتى في أقسى الخيارات.

أيرش كيجال : إن لك من الدهاء ما يعادل أمة بكاملها.

سدوم ريتي : هذا بفضل ما منحه الإله لي من الحكمة والمعرفة التامة.

أيرش كيجال : حسنا يا سدوم قد اجتزت الاختبار الأول ولكن عليك بعد هذا أن تعرف أن ابنتك لن ترجع ثانية إلى العالم العلوي، وان الأرواح الشريرة ستنقض عليها نهشا وإيلاما، وسترى في جحيمنا ما لم تره في حياتها الباذخة.

سدوم ريتي : لماذا كلّ هذا العذاب وهي لم تفعل شيئاً؟

أيرش كيجال : أنسيت أنها بديلك يا سدوم، وستحمل عنك عبء ما ارتكبت من الآثام، والفواحش، والجرائم، والقتل الجماعي؟ فان تركت الخيار لها فلن تضحي بنفسها من أجلك أو من أجل أي شخص آخر. إنه الجحيم يا سدوم. لا أحد يتمناه لنفسه حتى أكثر البنين والبنات حبا لك.

سدوم ريتي : أتمنى يا مولاتي...

أيرش كيجال : (مقاطعة) لات وقت أمنيات يا سدوم. امض إليها أو امض بنفسك إلى الجحيم.

سدوم ريتي : كلا يا مولاتي كل شيء إلا الجحيم.

أيرش كيجال : إذن.

سدوم ريتي : كما تشائين يا مولاتي.

أيرش كيجال : حسن يا سدوم سنستدعي ابنتك الصغرى وستقابلها لتعرف ردة فعلها فنكون قد منحناك فرصة ثانية لاتخاذ القرار الصحيح، وسيكون لقاؤك بها أمام بوابة العالم السفلي فان قررتَ أن تكون بديلة لك فما عليك إلا أن تشير لمن سيرافقك من المردة حتى يلقون القبض عليها ثم يأتون بها مكبلة لتعلق على مسمارك.. هل هذا واضح يا سدوم؟

سدوم ريتي : واضح يا مولاتي.

أيرش كيجال : (تشير بصولجانها فتطفأ الأضواء).

*

الفصل الثاني
المشهد الرابع
عند بوابة العالم السفلي

مُصْمَت تمهيدي:

تفتح الإضاءة تدريجياً... يرتفع سدوم ريتي، من الأسفل إلى الأعلى، داخل سحابة من دخان... تنفتح بوابة الشنق بشكل آلي، وعندما يكون جسمه فوقها مباشرة تنغلق آلياً أيضاً... تهبط سحابة الدخان بهدوء حتى تمس قدما سدوم سطح بوابة الشنق... تختفي سحابة الدخان... يفتح سدوم عينيه... ينظر لنفسه بفرح غامر وزهو... ينظر إلى البوابة التي يقف عليها... يخطو خطوة واحدة إلى جانبها... يستطلع المكان فلا يرى غير الفراغ الممتد إلى آخره... يدور حول البوابة... ينظر إلى ساعته اليدوية عدة مرات... يتحرك جيئة وذهاباً بقلق وارتباك... يتحسس المكان بيديه مثلما يفعل العميان... يمسك بشيء غير مرئي فيفز ويتراجع مضطرباً... يستمر بالتحسس حتى يلمس جسماً غير مرئي آخر لكنه لا يفز هذه المرة... يشير للجسمين بالابتعاد عنه قليلاً وكأنه عرف ماذا يكونان... ينظر في كلّ الاتجاهات التي قد تأتي منها ابنته الصغرى بقلق شديد... يعاود النظر لساعته اليدوية... يسمع حفيفا... يتحول الحفيف الى زئير وصفير... تداهمه ريح قوية فيضع يديه على وجهه... يترنح... يصارع الريح... يحاول الثبات في محله... تدفعه الريح فيعاود الرجوع

إلى محلّه... ثم تدفعه ثانية وثالثة لكن يعاود الرجوع الى محلة بعناد، وفجأة يتوقف كلّ شيء، ويسود الصمت والهدوء... يسحب يديه من على وجهه... يفاجأ بوجود ابنته إلى جانبه لكنها لا تتحرك ويبدو أنها لا ترى أيضاً... يمرر يده أمام عينيها... يلمس وجنتيها... يمسك ذراعيها... يهزهما... يتحرك صوب البوابة محاولا فتحها... يتذكر وجود الجسمين قريباً منه... يلتجئ إليهما... يمسك ذراعي الأول ويهزّه بقوة لكنه لا يلقى استجابة ما... يذهب إلى الثاني يهزه أيضاً فيشعر بالرضا... يقترب من ابنته الصغرى وما يكاد يلمسها حتى تطير منها سحابة من دخان فتفتح عينيها... ترى وجه أبيها فتعقد ملامحها الدهشة... يبتسم لها سدوم وهو يصرخ فرحاً:

سدوم ريتي : ابنتي الحبيبة! آه ما أحبك إلى قلبي، وما أقربك إلى روحي.

ابنة سدوم : (بذهول غير مصدقة) أبي! هذا حلمٌ طالما راودني (تحتضنه مقبّلة إياه باشتياق كبير)

سدوم ريتي : إنك الآن أمامي بلحمك ودمك. تلتقين بي في صحوة ما بعدها صحوة.

ابنة سدوم : هل تعني... إننا الآن...

سدوم ريتي : (بتأكيد) نعم يا ابنتي.

ابنة سدوم : (باستغراب) كيف؟

سدوم ريتي : المسألة يطول شرحها الآن.

ابنة سدوم : لكنني أريد أن أعرف ما إذا كان الرجل الذي شنقوه هو أنت أم بديلك؟

سدوم ريتي : وهل يعقل أن لا تفرّق أحب بناتي اليَّ بين أبيها وشبيهه!

ابنة سدوم : أبي لا شك عندي أن الذي شنقوه هو أبي وليس شبيهه ولكن ما يدهشني هو كيف تسنى لي أن أراك الآن حياً ترزق؟

سدوم ريتي : ألم أقل لك أن هذه مسألة يطول شرحها.

ابنة سدوم : ولكنني أريد أن أعرف فقط كيف جئتُ إلى هذا المكان الموحش وأنا في يقظة كاملة، ولست في حلم عابر، وكيف التقيت بأبي الذي شنقوه فمات شهيداً!

سدوم ريتي : دعك من هذا يا صغيرتي وقولي لي هل أنت باقية على حب أبيك؟

ابنة سدوم : معذرة يا أبي أنا لا أجيب على سؤال إجابته تعرفها.

سدوم ريتي : حسنا يا صغيرتي...

ابنة سدوم : (مقاطعة والدها) أبي هل سنظلّ نتبادل أطراف الحديث هنا في هذه الأرض الجرداء الموحشة! هيا تعال معي (تسحبه من يده بقوة) لنذهب إلى حيث ينبغي... هيا.

سدوم ريتي : (يوقفها. يسحب يده منها. ينظر إليها. يبكي ثم يضمّها إلى صدره بقوة) ابنتي العزيزة.

ابنة سدوم : ما الذي يبكيك يا أبي؟

سدوم ريتي : روحي المعذبة.

ابنة سدوم : روحي فدى روحك يا أبي.

سدوم ريتي : أتعنين هذا حقا وصدقاً يا ابنتي؟

ابنة سدوم : أتشك في محبتي لك يا أبي!

سدوم ريتي : لا... لكن.

ابنة سدوم : لكن ماذا يا أبي!

سدوم ريتي : (يبكي بحرقة) لو عرفت معنى ذلك يا صغيرتي فربما تغييرين رأيك ولك الحق في هذا طبعاً.

ابنة سدوم : أي حق هذا؟ أنا مدللتك التي تصعد مع أنفاسك فكيف يحقّ لها أن لا تضحّي من اجلك يا أعز أب وأقدس والد.

سدوم ريتي : حسناً يا ابنتي قولي لي ليطمئن قلبي إن طلبت منك أن تحلّي محلّي فهل ستوافقين.

ابنة سدوم : أنت تحيرني يا أبي! تلتقي بي في هذا المكان المهجور، وتطلب مني ما لم يسبق أن طلبته مني ثم تسألني أن أحلّ محلّك! هل تعتقد أن في الدنيا كلّها رجل ما يستطيع أن يحلّ محلّك حتى أستطيع أنا ذلك!؟

سدوم ريتي : أنت الوحيدة التي تستطيع.

ابنة سدوم : هذا شرف ما بعده شرف، وتكريم ما بعده تكريم.. حقيقة لم يخطر على بالي مثل هذا أبداً.

سدوم ريتي : هل يعني هذا إنك موافقة؟

ابنة سدوم : بكل تأكيد... نعم.

سدوم ريتي : إذن اسمعيني يا ابنتي جيداً.

ابنة سدوم : كلّي آذان صاغية يا أبي.

سدوم ريتي : حسناً.. سأبدأ من موتي (يتوقف قليلاً) عندما ساقوني إلى المشنقة صعدت إليها بلا تردد أو خوف.

ابنة سدوم : هذا لأنك بطل بلادنا والبلدان المجاورة من المشرق إلى المغرب. لقد كنت دوماً موضع فخر شعبك وشعوب الأرض كلّها. جاهدت وضحيت ولم تبال بالموت أو بعذاب القبر.

سدوم ريتي : على رسلك يا ابنتي أنا لم أكمل بعد.

ابنة سدوم : إذن أكمل يا أبي.

سدوم ريتي : (ساهماً) حين وضعوا الحبل اللعين حول رقبتي فإن أول ما فكرت به هو عودتي إلى سابق مجدي، وعظمتي.

ابنة سدوم : كيف هل كنت متفقاً مع الجلاد على خدعة تقيك الخنق؟

سدوم ريتي : أأنا من يفعل هذا يا ابنتي؟ أأنا من يخدع الآخرين من أجل نفسه؟

ابنة سدوم : حاشا لك يا أبي واعذر غفلتي.

سدوم ريتي : لا عليك يا مدللتي الغالية (يواصل سرد الحكاية) وحين وطِئت قدماي أرض العالم السفلي، ولامستا ترابه البركاني الأسود فتحت عيني، وحدقت بالمكان ملياً. نظرت شمالا ثم نظرت يمينا وإذا بي أرى ملكة العالم السفلي أيرش كيجال.

ابنة سدوم : أواثق أنت يا أبي مما تقول؟

سدوم ريتي : كل الثقة يا ابنتي.

ابنة سدوم : ولكن هذا من أساطير الأولين (تفكر قليلاً ثم تصحح القول) عفوا يا أبي أظن انك تتحدث عن حساب القبر.

سدوم ريتي : لك أن تظني كما يحلو لك. المهم أن ملكة العالم السفلي قد منحتني خياراً.

ابنة سدوم : هل كان الملاك ذكرا أم أنثى؟

سدوم ريتي : لا هذا ولا ذاك وانتبهي إلى أنني قلت ملكة ولم أقل ملاكاً.

ابنة سدوم : (في حيرة من أمرها) معذرة يا أبي.

سدوم ريتي : لا عليك يا حبيبتي المهم أن ملكة العالم السفلي بدلا من أن تلقي بي في أتون الجحيم منحتني فرصة العودة إلى عالم الأحياء.

ابنة سدوم : يا لها من جاحدة هذه الملكة أتعاقب مثلك بالجحيم وأنت رمز من رموز الإيمان الفريد.

سدوم ريتي : لا تلوميها يا صغيرتي فآلاف الموتى من بلادي رفعوا لها شكاواهم ضدي واعتبروني قاتلاً لهم.

ابنة سدوم : ألا قطعت السنة هؤلاء جميعاً، لقد رفعتهم من الحضيض إلى المجد ثم تجازى منهم بالشكوى! عجبي من هؤلاء الأوباش.

سدوم ريتي : دعينا منهم الآن ولنتحدث بالمفيد فقط.

ابنة سدوم : حسنا يا أبي قل لي ما هي تلك الفرصة التي منحتها لك الملاك؟ ععع...عفوا عفوا أعني ملكة العالم السفلي.

سدوم ريتي : الفرصة هي أن اخرج من عالم الظلمات لقاء تسوية الأمور على الأرض، ومنع الاعتداء على مملكتها، ومحوها من باطن الأرض.

ابنة سدوم : حسنا وماذا في ذلك؟ دعنا نذهب لتسترجع سلطانك وسطوتك على الملأ الذين تنكروا لإنجازاتك العظيمة.

سدوم ريتي : لكنني لا أستطيع الذهاب من دون بديل.

ابنة سدوم : أي بديل؟

سدوم ريتي : البديل الذي سيحلّ محلّي في جهنم.

ابنة سدوم : آآآ فهمت يمكنك أن تختار من تشاء من رعيتك.

سدوم ريتي : لا. لا يمكنني ذلك. ملكة العالم السفلي هي التي اختارت الضحية.

ابنة سدوم : (مفكرة) وماذا ستفعل الضحية بدلا عنك؟

سدوم ريتي : تتحمل أعباء الجحيم وما اعد لي من صنوف التعذيب حرقاً وشيّا وما إلى ذلك يا ابنتي.

ابنة سدوم : (يظهر على ملامحها الخوف) بدأت تخيفني يا أبي.

سدوم ريتي : ليس في اليد حيلة يا ابنتي.

ابنة سدوم : ماذا تعني يا أبي؟

سدوم ريتي : أنت ستحلّين محلّ أبيك.

ابنة سدوم : (باستغراب) أنا!

سدوم ريتي : نعم أنت. ألم تقولي إنك مستعدة للتضحية بدلا عني؟

ابنة سدوم : لكنني لم أكن أعرف أنك تضحّي بأحب بناتك إليك لتدخلها جهنم الكبرى. أبي هل تعرف ماذا تعني جهنم الكبرى؟

سدوم ريتي : أعرف يا صغيرتي.

ابنة سدوم : تعرف وتتركني نهبا لمردة الجحيم، وعذابهم الذي لا طاقة لبشري عليه؟!

سدوم ريتي : كوني بمستوى التضحية يا ابنتي ولا تخشي شيئا.

ابنة سدوم : أنا لا أخشى شيئاً!؟ كيف وأنا اضعف الخلق؟!

سدوم ريتي : اسمعي يا ابنتي. لم يعد لدي ما يكفي من الوقت. انظري إلى هناك (يشير إلى المكان الذي جاء منه) تفتح البوابة. تمر من خلالها سحابة من دخان./ . تخرج سحابة أخرى وأخرى. تتلاشى السحب فيظهر ثلاثة من مردة الجحيم بأشكالهم وهيئاتهم المخيفة المرعبة. ترتعب ابنة سدود. تحتمي بأبيها من شدة روعها.

ابنة سدوم : (بذعر) أبي... مما هذه المخلوقات المخيفة! رؤيتهم تجعل القلب يختض كورقة صفصاف.

سدوم ريتي : إنهم من سيأخذونك إلى هناك.

ابنة سدوم : أبي!

سدوم ريتي : ناد عليهم ليأخذوك يا صغيرتي.

ابنة سدوم : أبي أحقا أنت من يقول هذا؟ من أجل ماذا أذهب إلى جهنم وأنا لم افعل شيئا!

سدوم ريتي : من أجلي أنا.

ابنة سدوم : ولماذا تحمّلني وزرك ووزر ما فعلت.

سدوم ريتي : لأنك الخيار الوحيد. لأنك خيار ملكة العالم السفلي.

ابنة سدوم : لتذهب ملكة العالم السفلي، وخيارها إلى الجحيم. ليس لي يد في هذا كلّه فلماذا أتحمّل وزره؟!

سدوم ريتي : اعقلي يا ابنتي ولا تتمادي على أحد.

ابنة سدوم : هذه نصيحتك لي إذن؟!

سدوم ريتي : نعم وأتمنى أن تتمسكين بها وأن لا تخالفي مشيئة الرب.

ابنة سدوم : أي رب هذا الذي تتحدث عنه يا أبي! الرب الذي يستبدلك بي ليقذف بجسدي الغض إلى نار جهنم.

سدوم ريتي : هل أفهم من هذا أنك تخالفين أمر الربّ وأمر أبيك؟

ابنة سدوم : نعم.

سدوم ريتي : تذكري إنه لم يعص أمري أحد من قبل ولا من بعد. وإنك بصلفك هذا تجعلينني أقسوا عليك أشدّ القسوة.

ابنة سدوم : وهل ثمة ما هو أقسى من رمي الأب ابنته إلى نار جهنم؟

سدوم ريتي : عليك يا ابنتي كتبت التضحية فان لم تضحي من أجل أبيك فمن أجل الوطن وهذا أضعف الإيمان.

ابنة سدوم : كلام مضحك جداً.

سدوم ريتي : وما المضحك فيه يا فاجرة.

ابنة سدوم : هل تظنني واحدة من رعاياك المخدوعين؟

سدوم ريتي : أخرسي يا ابنة الكلبة الفاجرة.. أهكذا تجازين أبيك الذي دللك، وجعلك تعيشين أفضل من أميرات الأرض كلّها! أنا سدوم الذي لم يقل له أحد من قبل

على عينك حاجب تتجرئين أنت على قول (لا) في حضرتي! كان أولى لي أن أربّي كلبة كأمك من أن أربّي ابنة جاحدة (يوجه كلامه إلى المردة) خذوها. إلى جهنم وبئس المصير (يتقدم المردة منها.. تحاول الهرب دون جدوى. يلقون القبض عليها ويجرّونها نحو بوابة العالم السفلي. تغطيهم سحب من دخان. ينزلون تدريجياً إلى العالم السفلي. تصرخ مستغيثة. أبي. أبـــي. أبـــــي... تطفأ الأضواء، ويعمّ الظلام مع آخر صرخة تطلقها.

*

المشهد الخامس
جانب من المدينة

مُصْمَت تمهيدي:

يدخل سدوم برفقة الماردين غير المرئيين... يجيل نظره هنا وهناك... يتقدم إلى وسط المسرح ثم يتوقف فجأة وهو يصيخ السمع إلى الجهة التي تصدر منها أصوات منددة بإسقاط النظام... يتراجع إلى الوراء... يأمر الماردين بأخذه إلى جهة الصوت... يمسكان به ويطيران باتجاه الصوت... ينظر سدوم إلى ما يحدث تحته مباشرة... يدقق النظر أثناء طيرانه... يرى إلى مجموعة من المحتجين الشباب وبعض المتقدمين بالسن... يلمح بينهم شخصاً يعرفه... يشير للماردين بالهبوط فيهبطان به إلى الأرض... يأمرهما بتحويل نفسيهما إلى مرئيين فيتحوّلان... يشير لهما بإلقاء القبض على رجل من الرجال المحتجين... يأتيان بالمحتج وهو يرتجف خوفاً منهما... يوقفانه أمام سدوم... يبتسم سدوم ابتسامته المميزة... يزداد الرجل خوفاً وذعراً أكثر من ذي قبل... يتقدم سدوم نحوه يضع يده على كتف الرجل فتعقد لسانه الدهشة إلى درجة يبدو معها مضحكاً للجميع... يسحبه من الماردين وهو لا يزال مثبتاً نظره نحوهما... يبتسم سدوم مرة أخرى ابتسامة فيها الكثير من الشفقة على الرجل المهزوز كيانه والممتلئ ذعراً... يوجه سدوم كلامه للرجل بشيء من التعجب المصطنع.

سدوم ريتي : شفلق!

شفلق : (ينظر إلى سدوم ثم) من! سيدي سدوم!

سدوم ريتي : أتشك؟

شفلق : لا. ولكن (يشير بيديه دلالة الشنق)...

سدوم ريتي : (مقاطعاً) أعرف ما تريد قوله (يبتعد عنه ثم يلتفت إليه) اسمع يا شفلق.

شفلق : كلي آذان صاغية يا سيدي.

سدوم ريتي : هل تريد هذه الحثالة اسقاط النظام فعلاً؟

شفلق : نعم.

سدوم ريتي : ولم أنت معهم يا شفلق.

شفلق : لأنني - اذا نجحوا - أروم الوصول إلى مركز مهم في السلطة كي أتمكن بعد ذلك من استرجاع سلطتنا يا سيدي.

سدوم ريتي : هذا هو ما جئت من أجله يا شفلق.

شفلق : هل.....

سدوم ريتي : (مقاطعاً) نعم يا شفلق (يتقدم منه، ويبتسم بخبث) يعجبني مكرك أيها الثعلب. والآن أصغ يا شفلق لما أطلبه منك.

شفلق : كلي آذان صاغية يا سيدي.

سدوم ريتي : حسناً أريد منك جمع شتات بعض رفاق السلاح، والكفاح بشكل خاص.

شفلق : (لا يجيب).

سدوم ريتي : (مشدداً القول) هل سمعت ما أمرتك به؟

شفلق : سمعت يا سيدي ولكن...

سدوم ريتي : لكن ماذا؟

شفلق : الرفاق يا سيدي...

سدوم ريتي : ما بهم؟

شفلق : انقسموا على فئات سيدي منهم من ظلّ على حبّكم، ومنهم من انضمّ إلى طابور الحكومة ومنهم من...

سدوم ريتي : اعرف هذا يا شفلق. اذهب وقل لهم: إنني بانتظارهم. إن مجرد نطقك باسمي سوف يجعلهم يتجمّعون بلا أدنى تردد. اذهب الآن، ونفذ ما أمرتك به فوراً.

شفلق : فوراً يا سيدي ولكن (يشير الى الماردين بتردد)

سدوم ريتي : لا عليك بهما إنهما يمتثلان لأمري وسيساعداننا في القضاء على من استلب سلطتنا. هيا اذهب ونفذ ما أمرتك به فوراً (يذهب غير مصدق لما رأى. سدوم يشير للمارد الأول بالاقتراب منه فيفعل ثم يوجه له أمراً) اذهب أنت، واطلق نبأ عودتي في كلّ الأقطار والأمصار (يلتفت إلى المارد الثاني) أما أنت فاذهب

حالا، واتفق مع زمرة... (يشير عليه بالاقتراب. يهمس في إذنه اسم الزمرة) لبلبلة الأوضاع، وإشاعة الفوضى، وخلخلة الأمن، وزعزعة الثقة، وتدمير ما تبقى من البنية التحتية.

المارد٢ : الأربعة الأولى فهمتها ولكني لا املك أدنى فكرة عن تلك التي أسميتها البنية التحية.

سدوم ريتي : لا يهمني ما تعرف أو ما لا تعرف فقط عليك التنفيذ فليس لدي من الوقت ما يكفي لإضاعته في الشرح والتفسير (بتأكيد وتشديد) هل فهمت أيها المارد؟

المارد٢ : لم افهم (يلتفت سدوم إليه بغضب) لكنني سأنفذ.

سدوم ريتي : أحسنت أيها المارد هذا هو ما أريده بالضبط. اذهب، ونفذ، ثم ناقش بعد ذلك ما نفذته بالضبط.

المارد٢ : (يختفي بطريقة سحرية، وبسرعة فائقة)

سدوم ريتي : (يوجه الكلام لنفسه) تعجبني سرعة انتقال المردة كما يعجبني غباءهم المفرط. وسيعرف هذا الرعديد، وملكته من هو سدوم ريتي، وسيشهدون بتفوقي عليهم إلى أبد الآبدين (إلى جمهور النظارة كمن يلقي خطاباً) وستشهدون أنتم على ذلك أيضاً فلا شك أنكم لم ولن تستطيعوا نسيان قائدكم الواحد الأحد سدوم ريتي. ألم أحارب التخلّف في بيوتكم "بيت بيت، ودار دار؟" ألم أعلمكم كيف تستخدمون الكنيف بعد أن كنتم

تتغوطون في العراء؟ ألم أعلمكم كيف ترتدون النعال بعد أن كنتم حفاة؟ ألم اجعل منكم شعباً عظيماً واحداً بطائفة واحدة، وسياسة واحدة، وأمة واحدة، وزعيم واحد بعد أن كنتم شراذم متفرقة، وطوائف مختلفة؟ ألم أجعل أعداءكم يرهبون سيفي البتار، ورماحي العابرة للحدود والمنقضة عليهم كالصواعق والشهب؟ ألم أحرركم من أنفسكم المريضة الجبانة التي تركتني أقاتل الغزاة وحدي؟.. اعتقدتم وما أسوأ اعتقادكم أنهم قضوا عليّ، وأنهم أخرجوني من موضعي القتالي بالقوة (بشيء من التحدي) أنا سدوم ريتي. أنا المجد، والعز، والكرامة، وما رأيتموه مني لم يكن إلا القليل القليل. وسترون مني ما تشيب له قلوبكم قبل رؤوسكم. أنا عائد إليكم بمشيئة الإله، وبتخويل من ملك الموت لأقضي على كل من حاربني، وهدم ملكوتي، وسوف لن أدع أحداً ينام قرير العين قبل أن أستردّ عرشي وزعامتي وجبروتي. ستمزقكم المفخخات أينما ذهبتم، وستدرككم النازلات وانتم في غفلة، وسأستخدم قوتي التي لم تروا منها إلا ما قدّرته لكم وهو الأقل هولاً مما ادخرت ليوم كهذا (يهزّ المكان صوت انفجار كبير يعقبه صمت يلف المكان. سدوم يبتسم بخبث) أسمعتم؟ هذا هو أول الغيث فلا تستهينوا بما أنا فاعل بكم وبمن حارب نيابة عنكم. سيكون لاتباعي

المخلصين في الأرض شأن لا يعلى عليه وما عليكم إلا الرضوخ، والطاعة كي تسلموا على أنفسكم، وتحافظوا على أرواحكم، وتشكروني على النعيم الذي عشتم فيه أيام كان سيفي مسلطا على رؤوسكم اليانعة... (يتوقف عن الكلام إذ يرى المارد الأول ملطخا بالطماطم والوحل) ما هذا ما الذي حدث لك أيها المارد؟

المارد١ : بعد أن حوّلت شكلي إلى شكل آدميّ وبشّرت بعودتك انهالوا عليّ بالطماطم ضرباً وبالأوحال تلطيخاً.

سدوم ريتي : وماذا فعلت لهم؟

المارد١ : لم أفعل شيئاً.

سدوم ريتي : ولماذا لم تفعل شيئاً وقد أوتيت من القوة ما يكفي لجعلهم هباءً منثورا؟

المارد١ : عندما يتحول المارد إلى بشري فإنه يفقد القدرة على فعل الخوارق باستثناء العودة إلى شكله الحقيقي.

سدوم ريتي : ولماذا لم تفعل ذلك وأنت بشكلك الماردي؟

المارد١ : لأنني لم أرد أن يهربوا خوفا من هيئتي المخيفة. ألم تر كيف اختضت ابنتك الصغرى رعباً وهي تنظر إلى مردة الجحيم؟

سدوم ريتي : لا تذكر ابنتي الصغرى مرة ثانية أيها المارد الغبي؟

المارد١ : لماذا ها؟ كي لا تشعر بالندم على ما أردته لها وأنت

العارف أنها ستحلّ محلّك في جهنم؟ (يدخل المارد الثاني)

سدوم ريتي : (موجها الكلام إلى المارد الثاني) ها.. قل ماذا فعلت أنت الآخر؟

المارد٢ : ألّبت العباد على البلاد فخرج الناس احتجاجاً على حكوماتهم.

سدوم ريتي : (سدوم يكتم غضبه) وماذا أيضاً؟

المارد٢ : خرج الناس بالملايين. وكنت أظن أنني سبب خروجهم بهذه الأعداد الغفيرة.

سدوم ريتي : وهل عرفت سبب خروجهم؟

المارد٢ : نعم.

سدوم ريتي : لا انعم الله عليك. قل بسرعة ما السبب؟

المارد٢ : انتحر أحدهم في ساحة عامة احتجاجاً على الظروف المعيشية القاسية التي يعاني منها هو والكثير الكثير من أبناء جلدته بينما ترفل قصور الأسياد بالذهب، والجواهر، والجواري، وبكل ما لذ وطاب فكان انتحاره الشرارة التي أذكت نار الجحيم على الحكومة. لقد هرب زعيم، وتبعه آخر ولا تزال النار موقدة لحرق بقية الحكومات، والزعامات.

شفلق : (يدخل شفلق مع بعض الشخصيات) سيدي المبجل

سدوم ريتي ها هم رفاقك في السلاح والكفاح (يقفون الواحد إلى جانب الآخر بالاستعداد كما لو كانوا من العساكر وإذ يرون الماردين يصيبهم الذعر بشكل يثير الضحك).

سدوم ريتي : لا تخافوا.. إنهما في رفقتي.. يا رفاق السلاح والكفاح آن لنا أن نستعيد ما فقدنا وأن نعود لحكم البلاد والعباد.. قولوا لي هل أنصاركم على أهبة الاستعداد؟

الرجل١ : لا أظن يا سيدي.

سدوم ريتي : ماذا تعني يا رفيق؟

الرجل١ : أعني أننا لم نستطع إقناعهم باسترداد الحكم.

سدوم ريتي : لا تقل لي أنهم يعملون الآن في خدمة مغتصبي سلطتي.

الرجل١ : هم كذلك يا سيدي. لقد حافظنا على استمرارهم معنا وقتاً غير قصير من الزمن، وبعد أن يئسوا من عودتك انصرف كلّ منهم للوصول إلى السلطة بطريقته الخاصة.

سدوم ريتي : ألم تخبروهم بعودتي؟

الرجل١ : قد فعلنا يا سيدي لكن الظرف تغيّر.

سدوم ريتي : ماذا تعني؟

الرجل١ : لقد انتفض الناس في الأمصار والأقطار، وبدأوا يلفظون حكامهم الواحد تلو الآخر.

سدوم ريتي : ألم يدافع الحكام عن عروشهم كما ينبغي؟

الرجل١ : إنهم يحاولون وبكل الوسائل المتاحة وغير المتاحة حدّ انهم استخدموا الدبابات والطائرات للاحتفاظ بسلطتهم ولكن...

سدوم ريتي : (بنفاد صبر) لكن ماذا؟

الرجل١ : لم يفلحوا أبداً. إنها بداية النهاية كما يقولون يا سيدي. لقد فتح الشباب أعينهم على ما يجري، وعرفوا بحقيقة الأمور كلّها.

سدوم ريتي : (غاضبا) أهذا هو ما جئت تخبرني به أيها الغبي!

الرجل١ : (يشعر بوقع الإهانة فيردها) معذرة سيدي الناس لا تحفل برجل ميّت.

سدوم ريتي : ماذا قلت أيها الغبي (سدوم يهجم على الرجل الأول وهو يحاول خنقه بيديه) هل خيم الثراء على عينيك المريضتين فلم تبصرا غيره؟ سأفتحهما إذن لتريا أنني أنا سدوم ريتي.

الرجل١ : أعرف يا سيدي انك سدوم ولكن لا نفع منك الآن.

المارد١ : (متدخلا) اترك الرجل لحاله يا سدوم.

سدوم ريتي : (سدوم يترك الرجل ويلتفت إلى المارد) ماذا تعني أيها المارد؟

المارد١ : أعني لستَ بحاجة للقتل الآن، ولم نعد بحاجة لأفعالك. سنعيدك إلى عالم الظلام.

سدوم ريتي : ليس قبل أن نحرر البلاد ونصون عرش أيرش كيجال.

المارد١ : أزف الوقت، وبان عجزك يا سدوم، ولا داعي للمماطلة. أما عرش مولاتي أيرش كيجال فإنه مصون بقوة الإله آنو، وإن جحيمها سيظلّ مفتوحاً لاستقبال الموتى.

سدوم ريتي : تريّث قليلا أيها المارد فأنا لم أفعل شيئا بعد. لقد وعدت أيرش كيجال بحماية مملكتها من الدمار، والانهيار.

المارد٢ : وهل تعتقد أنها رأتك صادقاً؟

سدوم ريتي : نعم بكل تأكيد وإلا لما سمحت بخروجي من العالم السفلي لإنقاذ ملكوتي وملكوتها؟

المارد٢ : بل لوضعك موضع الاختبار.

سدوم ريتي : ماذا تعني؟

المارد٢ : أعني إنك برهنت لها أن القضاة السبعة كانوا على حق.

سدوم ريتي : لم أفهم.

المارد٢ : أنت لم تكف عن رغبتك في إسالة أنهار من الدماء البشرية بسبب أو بغير سبب. هذا هو ما رآه القضاة.

سدوم ريتي : وهل نستطيع الدفاع عن عروشنا بغير الدماء؟

المارد : تلك هي علّتكم يا سدوم. تحكمون على الناس بالموت، وتقدرون لهم الأقدار كما تفعل الآلهة العظام ثم تنسون أنفسكم فتظنون أنكم الآلهة.

سدوم ريتي : إذن خروجي من العالم السفلي كان مجرد اختبار.

المارد٢ : نعم ولكن...

سدوم ريتي : (يحاول خداع المارد) عندما خرجت شقيقة أيرش كيجال من العالم السفلي فأنها اختارت زوجها ديموزي بديلا أليس كذلك أيها المارد؟

المارد٢ : نعم.

سدوم ريتي : دعني اختار هذا الرجل إذن (يشير إلى شفلق) ليكون بديلا آخر لي، وسترى انه سيوافق حالا.

المارد٢ : لا أظن.

سدوم ريتي : اسأله إذن.

المارد٢ : هل ترضى أن تحل محل سيدك في الجحيم؟

شفلق : في الجحيم! لا. لا أبداً. لن أوافق لن...

سدوم ريتي : (مقاطعا بحدة) خونة، وأنذال. كلكم خونة، وأنذال. التقطتكم من الحضيض، ووهبتكم الجاه، والعزّ، والجبروت، ولم أشك يوما أنكم على هذه الدرجة من النذالة، والحقارة والسفالة والخيانة، والانحطاط اذهبوا جميعاً، والعقوا أحذية سادتكم الغزاة يا كلابي التي لا تعرف الوفاء.

المارد٢ : صه يا سدوم فأنت عائد إلى مسمارك لا محالة (يشير المارد فيختفي الرجال. يفاجأ سدوم بوجوده في مملكة العالم

السفلي. يرى إلهة العالم السفلي ووزيرها وكلّ شيء كما كان قبل بضع ثوان والحبل لا يزال ملتفا حول رقبته)

سدوم ريتي : ما هذا هل عدنا إلى العالم السفلي!

المارد٢ : نحن لم نخرج أبداً من عالمنا يا سدوم حتى نعود إليه. كل ما رأيته كان هنا (يشير بإصبعه إلى دماغ سدوم). والآن ستتبوأ مكانك على ذلك المسمار.

سدوم ريتي : (بغضب عارم) أنا لا احفل بمسامیركم أيها المارد الرعديد، ولا تخيفيني هيئاتكم القبيحة، ولا ما أعددتموه لي من العذاب، ولا ما ستسلطون علي من الأرواح الشريرة. أنا سدوم ريتي. أنا المجد، والفخر، والكبرياء. أنا زعيم الأرض، وملك ملوكها، وسوف ترون أن الآلهة العظام كلّها تقف إلى جانبي أنا. أنا...

المارد٢ : اخرس يا سدوم (سدوم يحاول الاستمرار في الكلام لكن المارد يغزره بنظرة مخيفة... يتوقف سدوم عن الكلام حالما يرى عين المارد وهي تتقد شرراً... يتراجع إلى الخلف... يلوذ بالمارد الأول لكن الأول يغزره بعينين لا تقلان شرراً عن عين المارد الثاني... يهرب إلى مؤخرة المسرح... يتقدمان منه يبرك طائعا... يقرفص مخذولا)

المارد١ : (يرعد مزمجراً) ستلاقي مصيرك في الجحيم الذي أعددناه لك. لن ترحمك الآلهة العظام، ولن تعفوا عما

اقترفت من الجرائم، وستتحمل وزر كلّ من قتلوا على يديك (تضيق دائرة الضوء شيئاً فشيئاً مركزة على سدوم وهو يتلوّى، ويتعذّب داخل حفرة ضيقة شبيهة بالقبر. تتبدل ألوان الضوء بين لحظة وأخرى ثم تتوقف الحركة. واذ يسمع هدير تظاهرة مقبلة نحوه من البعيد يلف نفسه بقماش أبيض كمحاولة لإخفاء نفسه عنهم، ويتمدد في الحفرة كما لو كان ميتاً. تبتعد الأصوات تدريجيا فيجلس ثانية. ينظر إلى جهة اليمين ثم إلى جهة اليسار كما فعل ذلك في بداية المسرحية. يحاول أن ينطق فيفشل. يعيد المحاولة مرة وأخرى لكنه يفشل أيضاً. يفتح عينيه مرعوباً. يحرك شفتيه دون أن يصدر عنهما أي صوت. يحاول الصراخ بصمت فيصدر عنه صوت داخلي هادر).

الصوت : هذا هو.. عذاب القبررررررر.. يا سدوم دوم دوم دوم! (ضربة صنج قوية. يعود إلى وضعه كميت مسجى داخل حفرة بحجم القبر، وتتوقف الحركة تماما على خشبة المسرح.

انتهت

مسرحية

طائر البرق المهاجر

شخوص المسرحية:

مظفر النواب

الضابط

الشاب

شاب١، ٢، ٣،

المقنع

المعلم

الرجل

رجل١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧

حسن

المسرح مظلم. قرص الشمس الفسفوري تغطيه غيوم كثيفة داكنة تحجب ضياءه فتزيد الظلام حلكة. خلال الظلام نلمح أحد الممثلين وهو يقوم بحركات صامتة تعبر عن انتقاله من ضفة النهر الى الضفة الأخرى وهو يرتدي قفازات فسفورية ويمسك بمجداف فسفوري يجدف به على إيقاع الأغنية الشعبية (بشريعة النعمان يسبح حبيبي) عند وصوله إلى الضفة الثانية نسمع صوت ولادة طفل. ومع ارتفاع بكاء الطفل، وتداخل أصوات الزغاريد يبدأ قرص الشمس بالتوهج فنرى الممثل (٧٨ عاما) وهو يغادر من الزورق نحو أسفل يسار الخشبة. يخرج في إثره من وراء الكواليس رجل متوسط العمر. يتبعه شاب في مقتبل العمر. يتوقفان على المسار نفسه. يخرج الرجل الكبير بوقار كتاباً من بين طيّات ثيابه ويقرأ أبياتاً من قصيدة مظفر النواب (بالخمر وبالحزن فؤادي):

أسمع طفلا يغثو في المهد

واسمعه يغثو

يا رب يشب له وطنا

فانا عشت بلا وطن

وأنا أعرف كيف يعيش الزرع السائب في الماء

ويشتاق إلى أي تراب

عندما ينتهي من القراءة يتحرك باتجاه الرجل الذي يقف على منتصف المسار. يسلّمه الكتاب فيتحرك نحو الشاب. يسلّم الكتاب بدوره ثم يخرج الجميع من الخشبة.

تتبدل صورة السايكلوراما. نرى جانباً من منطقة الكاظمية تبدو فيها المنائر واضحة. نسمع أصوات الطبول، والصنوج مدوية بإيقاع مارش تقليدي حزين يبدأ بطيئاً ثم تزداد سرعته شيئاً فشيئا. في مؤخرة المسرح يتحرك الرجال باتجاهين متعاكسين على شكل نصفي دائرة. في الأول يضرب الرجال ظهورهم بالزناجيل حتى تدمى، وفي الثاني يضرب الرجال رؤوسهم بالسيوف حتى تسيل الدماء على وجوههم وجذوعهم بحركات تتلاءم وسرعة الإيقاع الذي يبلغ أشده في نهاية المشهد. وفي منتصف المسرح داخل القوسين المتعاكسين نرى رجلا بملابس حمر وبيده سيف يقطر دماً، ومجموعة من الصبية يحملون طاسات ماء، وكلما أراد أحدهم أن يروي عطشه ينقض (الشمر) على طاسته فيسقطها أرضاً مع صرخات نسوية عالية من خارج المسرح. طوال هذا المشهد يقف شاب في أعلى البناء أمام المنائر وهو يرى المشهد بتأمل عميق. عندما ينسحب الجميع مهرولين إلى خارج المسرح ينزل الشاب إلى خشبة المسرح. تطفأ الأضواء إلا بقعة ضوء دائرية (فلو) تتابع الشاب وهو ينتقل من مكان إلى آخر. يتقدم صوب جمهور النظّارة. يتسمّع. صوت أقدام مهرولة كأنها تطارد شخصا ما. يتحرك الشاب هنا وهناك.. ينظر باتجاه الأصوات. يدخل من بين جمهور النظّارة، ومن أماكن مختلفة من وراء الكواليس عدد كبير من أفراد الشرطة. يطلقون عدة عيارات نارية. يملؤون المسرح ضجيجاً وصخباً. الشاب يناور إطلاقاتهم بحركات سريعة. يتدحرج. يقف. يقفز. يقفزون إلى الخشبة بحركة رشيقة. يحيطون به. يتوقفون عن الحركة (ستوب كادر) إثر ضربة قوية للصنوج، ويظلّون على وقفتهم (على المخرج أن يرسم بالمجموعة صورة تشكيلية معبرة) الشاب فقط هو الذي يتحرك بين أفراد الشرطة.

يقف في منتصفهم. نسمع معزوفة وترية ثم ينشد الشاب بطريقة غنائية بضعة أبيات من قصيدة (الوتريات الليلية).

الشاب: يا طير البرق
أخذت حمائم روحي في الليل
إلى منبع هذا الكون
وكان الخوف يفيض
وكنت علي حزين
وغسلت فضاءك في روح أتعبها الطين
تعب الطين
سيرحل هذا الطين قريباً
تعب الطين
عاشر أصناف الشارع في الليل
فهم في الليل سلاطين.

(يتحرك رجال الشرطة ثانية وهم يحيطون بالشاب. يتحركون بسرعة حوله بينما يقف مفوض الشرطة أعلى وسط المسرح وظهره باتجاه جمهور النظّارة وهو يوجّه للشاب السؤال تلو الآخر).

المفوض : أنت مظفر النواب؟

المجموعة : أنت هو؟

الشاب : ليتني هو.

المفوض : ماذا قلت يا ابن الـ(.....)؟

المجموعة : ماذا قلت؟

الشاب : قلت ليتني هو.

المفوض : من هو؟ (الشاب كأنه لم يسمع الضابط)

المجموعة : من هو؟

الشاب : (بتصنع) ماذا قلت؟

المفوض : من هو؟

الشاب : من هو من؟

المفوض : مظفر النواب يا أحمق.

الشاب : نعم.. ما به؟

المفوض : لا أنعم الله عليك... لماذا لم تقل منذ البداية أنه أنت؟

الشاب : أنا من؟

المفوض : وِلَكْ إنتَ... إنتَ مظفر النواب؟

الشاب : لا عمي لا أنت متوهم.

المفوض : تمام... متوهم... وهذا الصوت الذي سمعناه.. ها؟

الشاب : أي صوت عمي؟

المفوض : (يستدير ثم يوجه أمراً للمجموعة) دعوه يفهم أي صوت أقصد (تتحرك المجموعة حركات سريعة منظمة لركله وضربه بأخامص البنادق حتى يكاد ينهار ثم وبإشارة من الضابط يتوقفون عن الحركة تماماً (ستوب كادر). يتحرك

المفوض باتجاه الشاب الذي لا يزال ساقطاً على الأرض. يشير له بإصبعه) انهض (الشاب ينهض) ها؟ تذكرت أم تريد أن أفتح ذاكرتك بضربات أقوى منها؟

الشاب : والله لا أعرف عمن تسألون.

المفوض : خوش. نحن نسأل عنك يا مظفر.

الشاب : عمي أنا لست مظفر. والله أنا لست مظفر.

المفوض : صدقت (يتوقف لحظة ثم يستدرك) ولكني سمعتك تقول ليتني هو. من هو إذن. ها؟

الشاب : مظفر.

المفوض : (بسرعة) من هو مظفّر، وماذا تعرف عنه؟

الشاب : (بالسرعة نفسها) كل الذي أعرفه أنه شاعر من بيت النواب ولد في الكاظمية عام ١٩٣٤.

المفوض : عال (يتوقف ثم ببطء) عاااال العال. بدأت ذاكرتك تعمل بشكل فعال (مشيرا إلى الشاب بإصبعه) تعال هنا.

الشاب : (يتردد) عمي والله لا أعرف شيئاً.

المفوض : (بمكر ودهاء) أنا أعرف أنك لا تعرف فذاكرتك غافية وأنا أعرف كيف أوقظها فتخبرنا عن مظفر (يصفعه بشكل مفاجئ ثم بسرعة) أقلت أنه ولد عام ١٩٣٤؟

الشاب : (بالسرعة نفسها) نعم.

المفوض : في ١٣ آذار تحديدا.

الشاب : ها... لا (يرفع الشرطي قبضته) أقصد نعم.

المفوض : لا أنعم الله عليك. قل لي ماذا يعني هذا ها؟

الشاب : يعني أنك تـ.. تـ.. تصفعني.

المفوض : (تتغير السرعة إلى بطء) لا حول ولا قوة إلا بالله. وِلَكْ أجبني.

الشاب : أجيبك عن ماذا!

المفوض : عن آذار ١٩٣٤.

الشاب : بماذا تريد أن أجيبك؟

المفوض : (بخبث) هل تراني غبياً إلى هذا الحد؟

الشاب : لا والله.

المفوض : إذن قيدوه (تتحرك المجموعة كلّها لوضع القيد في يديّ الشاب، وجرّه بوساطة سلسلة حديدية إلى ما وراء الكواليس. تطفأ الأضواء).

*

(تفتح الأضواء على مجموعة من الشباب المجتمعين في أحد البيوت)

شاب ١ : هل رآكم أحد وأنتم تدخلون؟

شاب ٢ : لا لم يلحظ حركتنا أحد.

شاب ٣ : قل ماذا عندك لنا بسرعة.

شاب ١ : دعوني آخذ نفسي.

شاب٤ : خذ نفسك كيفما يحلو لك ولكن لا تؤخرنا كثيراً.

شاب١ : سأفعل.

شاب٣ : هل لديك ممنوعات جديدة؟

شاب١ : نعم.

شاب٣ : إذن دعنا نرى ما عندك يا زميلي.

شاب٢ : عماذا تتحدثان. ماهي الممنوعات التي بحوزتك؟

شاب١ : لا تخف نحن لا نتاجر بالمخدرات.

شاب٢ : لم اقصد هذا. أنت تعرف ما أعني.

شاب١ : نعم أعرف.

شاب٢ : إذن.

شاب١ : سأسمعكم شيئاً في غاية الأهمية.

شاب٣ : أكان هذا يستدعي كلّ هذه السرية والخوف؟

شاب١ : انت لم تعرف بعد ماذا سأسمعك.

شاب٢ : إذن هات ما عندك وخلّصنا.

شاب١ : حسنا اجلسوا من فضلكم يا زملاء (يسحب كلّ منهم كرسياً ويجلس عليه).

شاب١ : اقتربوا أكثر (يقتربون. يمد يده في جيبه الداخلي. يجد ما يبحث عنه. يلوح به) هذا هو ما ستصغون إليه.

شاب٢ : حسينيات جديدة.

شاب١ : بل مظفريات جديدة (يضع الكاسيت في جهاز التسجيل. يضغط على زر التشغيل فينطلق صوت النواب بقصيدته وتريات ليلية):

الصوت : أصرخ فيكم

أصرخ أين شهامتكم

ان كنتم عربا...بشرا...حيوانات

فالذئبة...حتى الذئبة

تحرس نطفتها

والكلبة تحرس نطفتها والنملة تعتز بثقب الأرض

واما انتم

فالقدس عروس عروبتكم

اهلا

القدس عروس عروبتكم

فلماذا أدخلتم كل السيلانات الى حجرتها

ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب

لصرخات بكارتها

وسحبتم كل خناجركم

وتنافختم شرفا

وصرختم فيها ان تسكت صونا للعرض

فأي قرود انتم

أولا قراد الخيل كفاكم صخباً

خلوها دامية في الشمس بلا قابلة

ستشد ضفائرها وتقيء الحمل عليكم

ستقيء الحمل عليكم

ستقيء الحمل على عزتكم

ستقيء الحمل على أصوات إذاعتكم

ستقيء الحمل عليكم فردا فردا

وستغرس اصبعها في اعينكم

أنتم مغتصبي.....

(أصوات أقدام مهرولة تقترب. الشباب يرتبكون، ولا يعرفون ماذا يفعلون).

شاب١ : اهربوا يا شباب. هيا بسرعة (يهمون بالهرب لكنّ الشرطة توقفهم شاهرة بوجوههم مسدساتهم، وبنادقهم وهم نفس المفرزة السابقة.. تطفأ الأضواء).

نسمع أصوات آلات وترية تنطلق من خلال الظلام. تفتح الأضواء تدريجياً وتظلّ خافتة بعض الشيء. نرى عدداً من الآلات الموسيقية الوترية وهي تشكّل قطع الديكور الأساسية، وثلاثة أشخاص يجلس أحدهما على يسار الخشبة، والآخر على يمينها، بينما يظل الثالث واقفاً على منتصفها. يغطي الدخان الاصطناعي أرضية المكان حتى ركب الجالسين فتبدو الصورة وكأنها من الخيال أو الحلم. يعزف الاثنان على آلتيهما الوتريتين

فيتلو الثالث مقطعاً من وتريات النواب التي تتغير على ضوئها أو على وفق صورها الشعرية اللّوحات المرافقة للعزف على السايكوراما.

الثالث : في العاشر من نيسان
نسيت على أبواب الأهواز عيوني
وتجمع كل ذباب الطرقات على فمي الطفل
ورأيت صبايا فارس يغسلن النهد بماء الصبح
فينتفض النهد كرأس القط من الغسل
أموت بنهد امرأة، يحكم أكثر من كسرى في الليل
أموت بهن
تطلعن بخوف الطير الآمن في الماء
الى قسوة ظلي
من هذا المتسربل في الليل بكل زهور النخل؟؟
تتأجج فيه الشهوة من رؤيا النخل الحامل في الليل
شبقا في لحم المرأة
كالسيف العذب الفحل
من هذا الماسك كل زمام الأنهار
يسيل على الغربان كعري الصبح
يراوغ كل الطرقات المألوفة في جنات الملح
يواجه ذئبية هذا العالم
لا يحمل سكينا.

*

يا أبواب بساتين الأهواز

أموت حنينا

غادرت الفردوس المحتل

كنهر يهرب من وسخ البالوعات حزينا

احمل من وسخ الدنيا

ان النهر يظل لمجراه أمينا

ان النهر يظل.. يظل.. يظل أمينا

ان النهر يظل.

تداهمهم ببطء زمرة من رجال الشرطة الإيرانيين. وببطء يلتفون حول الثالث ويتركون الاثنين لحالهما كما لو أنهما غير موجودين أصلا. يهبط قفص من أعلى المسرح. يستقر فوق الرجل تماما فلا يستطيع الحراك. الأول والثاني يستمران في العزف الوتري. تعزلهما الإضاءة كما تعزل زمرة الشرطة الإيرانيين. تتركز حزمة ضوء دائرية على القفص. صوت قرار تسليم النواب إلى رجال الأمن العراقي نسمعه حال بدء الموسيقى بالخفوت. الرجل الثالث يتحرك حركات صامتة داخل القفص. والإضاءة تتحرك انسجاما مع الموقف المتأزّم له.

صوت فارسي (تترجم هذه الجملة إلى الفارسية أو تنطق بالعربية ولكن بلكنة فارسية) قررت منظمة السافاك تسليم المتهم مظفر عبد المجيد النواب لقوات الأمن السياسي العراقية.. (تخفت الإضاءة على القفص ثم تتوهج ثانية مع صدور القرار العراقي).

صوت عراقي: قررت المحكمة حضوريا الحكم على المتهم مظفر عبد المجيد النواب بالإعدام شنقا حتى الموت. (يتصاعد صوت الآلات الوترية حزينا. ينزل من السقف حبل مشنقة ترفع الثالث وقفصه إلى الأعلى..

الثالث : قدمي في السجن، وقلبي بين عذوق النخل

وقلت بقلبي: إياك

فللشاعر ألف جواز في الشعر

ألف جواز أن يتسلل للأهواز

يا قلبي! عشق الأرض جواز

وأبو ذر وحسين الأهوازي وأمي والشيب من الدوران ورائي

من سجن الشاه إلى سجن الصحراء.

يتوقف القفص عن الصعود متدليا في فضاء المسرح. تتحرك الصور الفلمية على السايكلوراما فيبدو كما لو أن القفص يسري في الفضاء. الثالث يرى إلى تشكيلات مختلفة تظهر تحته على خشبة المسرح (بنات يغتسلن في النهر. رجال يعذّبون. نخيل يقطع. نساء متضرّعات. أطفال يطلبون الماء ويصرخون من العطش والجوع. صحف تتناثر هنا وهناك. رجال شرطة يحملون الهراوات وينقضون على بعض الشباب المتظاهر. ويمكن للمخرج أن يضيف ما يراه ملائما للمشهد من مشاهدات النواب الأخرى) تتوقف الحركة حالما تصل الخلفية إلى الكاظمية، إلى حيث بدأت أحداث المسرحية. يهبط القفص بمن فيه.. يخفت صوت الموسيقى تدريجياً، وتدريجياً تخفت الأضواء على الخشبة ويظلم المسرح.

*

يعمّ المسرح ظلام شبه تام. نشاهد من خلال الظلام، وعلى امتداد واجهة المسرح مشبكاً من الحديد الفسفوري، وبضعة رجال يمسكون المشبك لا نرى منهم سوى أجزاءهم الفسفورية. تقترب أيديهم من بعضها بعضاً. تتعانق. تشدُّ على بعضها بعضاً ثم تتفرق باتجاهات مختلفة. تنتظم بهيئة خط مستقيم. السجين الأول الذي يتصدر المجموعة يقوم بعملية الحفر. يغرف تراباً ويسلمه للسجين الثاني. يتسلمه السجين الثاني، وبدوره يسلمه إلى الثالث، ومن الثالث إلى الرابع، وهكذا ينتهي التراب إلى الأخير الذي يضعه في كيس كبير(كُونِيَّه) من أكياس المؤونة المخصصة للسجناء. ترافق عملية الحفر التي تجري بشكل سري للغاية موسيقى خوف وترقب. تزداد عملية الحفر نشاطاً. تتحول الحركة شيئاً فشيئاً إلى حركة سريعة ومرهقة. يستمر الكل بعملية الحفر حتى تنبثق فسحة نور صغيرة. تزداد الفسحة اتساعاً ومع اتساعها يندلق النور الداخل إلى المكان. تظهر ملامح السجناء ثم يبدأون بالخروج من الفتحة الواحد تلو الآخر. تغلق فتحة النور فيعمّ المكان ظلام تام. تفتح الأضواء، وتسطع الشمس مشرقة على أرجاء المكان الذي يبدو خاليا تماما كصحراء لا يحدها حد. السجين الأول يقف في منتصف الصحراء. ينظر إلى جهات مختلفة. يحدد الوجهة التي يريد. يتوقف. يتلو بضعة أبيات من قصيدة النواب (وتريات ليلية).

الأول : استقبل روح الصحراء

يا هذا البدوي الضالع بالهجرات

تزود قبل الربع الخالي

بقطرة ماء

يتردد الصدى.. قطر ماء ماء ماء ماء ماء.. يتلاشى الصدى، وتخفت
الإضاءة، ويعم الظلام في آن واحد.

*

يتناقل الناس خبر هروب مظفر النواب من السجن. يشكل الناس ثلاثة أو أربعة مجاميع تتوزع على خشبة المسرح. تتناقل الخبر همساً أو صمتاً بين كل مجموعة وأخرى. يدخل رجل بقناع أسود، ومعطف رمادي. تتوقف حركة المجاميع وينتبه الكلّ إلى الرجل المقنّع.

المقنع : هل سمعتم الخبر؟

المجموعة : لم نسمع شيئاً. لم نر شيئاً.

المقنع : بل سمعتم.

المجموعة : لم نسمع. لم نر...

المقنع : (يقاطعهم) بماذا كنتم تتهامسون إذن؟

المجموعة : لا شيء.

المقنع : حسنا. من منكم لم يسمع بهروب النوّاب؟
(المجموعة لم ترد) هذا يعني أنكم جميعا قد سمعتم الخبر. لا تخافوا هذا ليس بالخبر المخفيّ. ولكن إياكم أن تتستروا على هارب كافر مثل النوّاب.

المجموعة : نحن لا نتستّر على أحد لا على النوّاب ولا على غيره.

المقنع : (بمراوغة) أنتم غير مضطرين إلى الكذب فلماذا تكذبون؟! ها! (المجموعة ينظر أحدهم في وجه الآخر باندهاش. المقنع بشيء من الخبث) صراحة الحق معكم إذ لا يمكن لأحد منكم أن يكره النوّاب. أليس كذلك؟

المجموعة : لا.

المقنع : (بتأكيد وتشديد) نعم (ثم بدهاء وخبث) نحن نعرف كيف تفكرون، وتتصرفون، وتضمرون، وتظهرون. لا تخافوا كثيراً فلم يعد النوّاب خطيراً. نحن نحبه مثلكم تماماً وبسبب حبنا الشديد عفونا عنه بإرادتنا واعدناه لوظيفة التعليم كمشرف تربوي. فان لم تصدقوا فاذهبوا لتروا بأعينكم ذلك (تتبادل المجموعة النظرات في حيرة وارتياب ثم تنطلق مهرولة باتجاه الكواليس. تطفأ الاضواء).

*

تفتح الأضواء. غرفة مديرة مدرسة مؤثثة بأثاث تقليدي. على الجدار المواجه لجمهور النظارة علقت صورة الزعيم عبد الكريم قاسم، وإلى جانبها صورة شعار الجمهورية العراقية.. كرسي المديرة فارغ.. تدخل المجموعة بصحبة دليل أو معلم من المدرسة نفسها).

المعلم : (إلى المجموعة وكأنه يكمل حديثا سابقا لدخولهم الغرفة)... نحن نقدّر اهتمامكم بالتأكيد. هذه الغرفة كما ترون هي غرفة المديرة، وهي المعلمة التي علمت النواب

في مرحلة الدراسة الابتدائية (المعلم يلفت انتباهه شيء ما وراء النافذة) انظروا إلى هناك (يشير باتجاه النافذة فيذهبون إليها).

رجل١ : إلى ماذا ننظر؟

المعلم : ألا تعرفون من يسير هناك؟

رجل٢ : امرأة متقدمة في السّن، ورجل أصغر منها بكثير لم يسبق أن رأيناهما من قبل.

المعلم : ألا تعرفون النوّاب على الأقل؟

رجل٣ : هل تعني أن ذلك الرجل هو النوّاب؟

المعلم : نعم بالضبط.

رجل٤ : ومن تكون تلك المرأة العجوز؟

المعلم : انها مديرة هذه المدرسة ومعلمة النواب في المدرسة الابتدائية.

رجل٣ : ماذا يفعلان هناك؟

المعلم : انهما يناقشان مشكلة الطالبة التي مزّقت صورة الزعيم.

رجل١ : لم أفهم ما علاقة النوّاب بصورة الزعيم؟

المعلم : النواب أعيد لوظيفته بعد الرابع عشرة من تموز كمشرف تربوي وهو مكلف الآن بالتحقيق في هذه المشكلة.

رجل٢ : وهل هي تعرف أن المشرف كان تلميذها؟

المعلم : قد يكون هذا صعبا على ذاكرتها لكن النوّاب قطعا يعرف

من هي.. هل تعرفون أنه كان معجباً بها بشكل غريب؟

رجل٤ : ماذا تعني بشكل غريب. هل تعني أنه تجاوز...؟

المعلم : (مقاطعا) نعم. تجاوز حالة الإعجاب المجرد إلى حالة أخرى.

رجل٣ : كيف؟

المعلم : (متذكرا) منذ تلك الأيام التي رأيته فيها ـــ وهو يجلس إلى جانبي على مقعد الدراسة ـــ لفت انتباهي إليه.. لم يكن كبقيتنا أبداً.. في الثالث الابتدائي كان يكتب شعرا سليم القوافي والبحور فتأججت محبته في نفس هذه المعلمة القديرة (يشير إلى المديرة) وعندما كبرنا قليلا صرت أشعر بقربه مني. وشعرت كما لو أن المعلمة تنافسني في صداقته. إنه والحق أقول كان يميل إليها أكثر من ميله إليّ. كنت أفهم نظراته إليها حين ينفردان داخل الصف. النواب أعجب بها كثيراً، وتجاوز حدود الإعجاب إلى ما لم نستطع سبر غوره وقتذاك. هل تعتقدون أنه معجب بها (يشير إلى النافذة) كأي طالب نبيه يعجب بمعلمته؟

الجميع : نعم.

المعلم : كلا (تعقد الستتهم الدهشة) أعني أنكم على حق. كان الجميع يعتقد هذا إلاي. لقد تجاوز النوّاب حدود الإعجاب إلى... إلى (يتوقف ثم يستدرك) دعوني أقول

لكم أن له مخيلة عجيبة تشبه مخيلة الشعراء الكبار. وإنني استطعت النفاذ إلى مخياله الفتيّ ورأيت فيه ما لم أرَ في غيره (تخفت الأضواء على المجموعة وتتوهج بحزمة دائرية على جهة من المسرح حيث يقف الشاب هناك).

الشاب أو صوت النواب : يا صاحب هذا الفَلك المتعب

كنت تسميه سفينة عشق

أنّى أيقنت سيفقس هذا البيض الفاسد

أوساخاً

ألديك فوانيس؟

زيت ما لمسته يدان؟

روح تبصر في الزمن الفاسد؟

أوقدَ بَحّارُ البَحّارين قناديل سفينته

أبقاها خافتة

أبقاها خافتة

بخيطٍ لحبيبته

أبقاها خافتة

تملك أحلى ميم أعرفها

ولها جسد مزجته الآلهة الموكولة بالمزج

فبالغ بالطيب وأربى بالحسن عليها...

خلال أداء القصيدة يظهر على الخلفية (خيال الظل) الشاب وهو كثير الشبه بالنوّاب. يتحرك نحو اليسار. تتحرك امرأة من الجهة المقابلة نحوه. يلتقيان في منتصف شاشة خيال الظل. يمد يديه إليها. تمدّ يديها إليه بتردد ثم تسحبهما. يلمس وجهها. يتعرف على تضاريسه المثيرة. تضاء الفوانيس قليلا فلا نرى إلا ضوءها الخافت الذي يضفي على المكان رومانسية ساحرة. يضمّها الشاب إليه. يحتضنان بعضهما بعضا. يكتشف سحر مفاتنها. تنسحب من بين يديه نادمة. تستدير لتخرج. يركع الشاب على ركبتيه فتتوقف قليلا. تنظر إليه بعمق ثم تنسحب إلى ما وراء الكواليس. يظلّ الشاب في محله ماداً يده باتجاهها. يغطي وجهه بكلتا يديه، ويظلّ هكذا حتى تظلم شاشة خيال الظل.

ملاحظة: يمكن أن يشتغل المخرج في هذا المشهد على فن الباليه المرافق لعزف آلة الكمان وتلاوة الشعر.

على الشاشة نفسها تعرض مجموعة من أفلام النواب وهو يلقي قصائده على جمهور غفير. مقطع من هذه القصيدة، ومقطع من تلك في حركة بانورامية تزداد سرعة حتى تتداخل المقاطع مع بعضها بعضاً مثيرة تشويشاً مقصوداً. يتوقف العرض عند صورة النواب بالأبيض والأسود (الصورة التي التقطها المصور سفيان الخزرجي داخل مشغله في السويد) تظل الصورة ثابتة وقتاً مناسباً ثم تطفأ الأضواء.

*

حزمة ضوء دائرية تتوهج تدريجياً مع الموسيقى على ممثل بملابس عسكرية وهو قريب الشبه بجيفارا. يجلس أو يقف في منتصف المسرح.

تخفت الموسيقى. يتقدم صوب جمهور النظارة. يتوقف عند حافة الخشبة مقدما نفسه للمشاهدين:

أنا من أطلق عليه النوابُ لقب الشموس. أنا حسن. بطل القصيدة التي طالما أعجبتم بها ورددتموها في مجالسكم همساً حتى تملكتني الحيرة منكم، وصرت أسأل نفسي لماذا يقرأها من يقف بصف النواب، ومن يقف على الصف الآخر؟ هل لاستبطانه أوجاع أمّ ثكلتها الفواجع، والمواجع، وليالي الذبح والنطح، وراحت تصرخ ملء فيها بعذابات البلاد والعباد؟ أم لأنني سقطت فيها على مذبح الحرية الحمراء؟ أم لأنني لم أبالِ بالموت وأنا أهاجم الطغاة، والبغاة، وسراق الثروات. آآآآآه... كم تمنيت أن التقي النواب وجها لوجه ليخفف عني ثقل الحزن الذي جثم على صدري بعد ساعة الصفر ببضع ليال حسب. أكاد أسمع همسه في أذن أمي وصرخة فرحتها "وها طرت الفجر.. لنها بيان اول ومطر اللّوز.. وصيحت حك" ولعلعَ صوتُ الرصاص مخترقاً الحق المقيّد إلى عمود الإعدام رمياً بالرصاص. مات حسن الشموس. (تنطلق صرخة الأم قوية مدوية في فضاء المسرح. تنادي على ولدها مكلومة)

حسن يبني.. حسن

جبنه عروسك يا حسن

خبزة دهن حلوه

حسن يبني. الشمس صاغت خشلها

ودگت النجمه نفسها ابطارف الغطوه

حسن سن سن سن سن سن

(يصرخ متألماً) آآآآآآآآآآآآآآهٍ أيها النواب (يتوقف فجأة إذ يسمع صوتاً قادماً من وراء الكواليس) من هناك؟ من أقلقني في هذي الساعة من ساعات الليل الأولى؟ (يدخل رجل كبير السن).

الرجل : أنا يا حسن.

حسن : أنت من؟

الرجل : أنا النواب.

حسن : أو تمزح مع الموتى هكذا أيها الرجل؟

الرجل : من هو الميت يا ولدي؟

حسن : أنا.

الرجل : أنت؟ لم يعرف الموت طريقه اليك.

حسن : لكني عرفت طريقي إليه.

الرجل : وأنا قاب قوسين أو...

حسن : (مقاطعاً) أصدقني القول رجاءً. هل أنت النواب؟

الرجل : أنا هو.

حسن : فلماذا لم أعرفك إذن؟

الرجل : لأن الزمن يفعل بالأحياء ما لا يفعله بالأموات.. أنت طلبتني فأتيت إليك فهل لك أن تقول لي ماذا تريد.

حسن : أريدك أن تلغي شخصيتي من القصيدة فلقد أتعبني وجعها المر، وآلمني ما ألمَّ بأمّي.

الرجل : هذا ضرب من المستحيل.

حسن : بل هو ضرب من الممكن.

الرجل : كيف؟

حسن : أن تعيد كتابتها، وأن تجعلها على لسانك أنت لتخلص أمي مما سببته لها.

الرجل : أمك لم تتعذب بسببك يا حسن.

حسن : بسبب من إذن؟

الرجل : أولئك الذين تخلوا عنك في ساعة الصفر. كنت أملنا المرتقب الجميل. الأمل الذي بددوه فأسدل الستار على قضيتنا.

حسن : لكن أمّي...

الرجل : أمّك جُرِحَت روحُها بسببهم يا حسن.

حسن : ولكن...

الرجل : أعرف ما تريد قوله يا حسن. ولهذا تبعت خطاك

حسن : النواب بعظمته يتبع خطوي؟

الرجل : نعم.

حسن : لا أصدق.

الرجل : تلك هي الحقيقة يا ولدي. التحقت بأهلك وناسك في الأهوار. قاتلنا معاً. وكان قدري أن أظلّ على قيد الحياة.

حسن : ألهذا اعتبروك منشقاً؟

الرجل : لا تهمني الاعتبارات. ما يهمني هو الوطن. الوطن يا حسن. إنه الآن على مفترق الطرقات. الوطن الآن على مفترق الطرقات. على مفترق الطرقات يا حسن. على مفترق الطرقات. على مفترق الطرقات {تتكرر هذه العبارة من قصيدة النواب (بيان سياسي) بصوت منغم يستمر في الانخفاض مع الموسيقى والأضواء شيئاً فشيئاً، وانسحاب الرجل إلى المكان الذي قدم منه وعودة حسن إلى وقفته، في بداية المشهد، إلى حزمة الضوء الدائرية التي تبدأ بالخفوت تدريجيا.}.

*

(ممثلان يقفان على جانبي المسرح يتصلان مع بعض بوساطة الموبايل بينهما عدد من الناس بتشكيلات تتوزع على خشبة المسرح على وفق رؤية المخرج الجمالية. حزمتا ضوء تتركزان على رجل١ ورجل٢.. خلف كل منهما جدارية أو صورة أو قطعة ديكور ترمز إلى مكان المهاتفة.. صوت ألياس خضر في أغنية (للريل وحمد) يشكل الخلفية الغنائية للمشهد).

رجل ١ : آلو... ماذا! أقلت إن النواب كان في السعدية؟

رجل ٢ : نعم.

رجل ١ : وماذا يفعل فيها؟

رجل ٢ : ألا تعرف أنه واحد من الضباط الاحتياط في معسكرها أرسل اليها كي يبعد عن بغداد؟

رجل ١ : لا.. ليس هذا هو من قصدت. أنا قصدت صاحب الريل وحمد.

{انتقال سريع إلى المجموعة}

رجل ٤ : (وهو واحد من أفراد المجموعة يوجه كلامه إليها مصححاً) للريل وحمد قصيدة أثيرت حولها ضجة كبيرة. أترون أنها استحقت تلك الضجة؟

رجل ٥ : نعم.

رجل ٤ : لماذا؟

رجل ٦ : (شخص من المجموعة) لأنها تجاوزت ما سبقها من الشعر الشعبي، أو لأقل جربت شيئاً جديداً لم يعرف من قبل.

رجل ٤ : هراء... كل هذا هراء... أين ذهبت مواويل الحاج زاير إذن؟

رجل ٦ : المواويل لا يزال لها سحرها، وتأثيرها لكن النواب أدخل الصور الشعرية المبهرة عليها فصار لها حضور أقوى حتى من قصيدة العمود.

{انتقال سريع إلى المتهاتفين}

رجل ٢ : (يواصل حديثه عبر الموبايل) الآن وقد عرفت ماذا تنوي أن تفعل؟

رجل ١ : سأوجه له دعوة لحضور مجلسنا في ديالى.

رجل ٢ : لا أظن أنها فكرة قابلة للتنفيذ.

رجل ١ : أتشك بكرمنا؟

{انتقال سريع إلى المجموعة}

رجل ٥ : لا أشك في أنها اشتهرت كونها قصيدة سياسية.

رجل ٦ : لو كانت سياسية فقط لما حققت كل هذا النجاح الكبير.

{انتقال سريع إلى المتهاتفين}

رجل ٢ : يا صديقي.. هل تعرف يوسف العاني، وصباح الدرة وابراهيم كبه.

رجل ١ : أعرفهم.

رجل ٢ : هم مدعوون معه إلى مجلس على نهر الكحلاء في مدينة العمارة. سيستمع هناك إلى أطوار غنائية تستهويه كثيراً.

رجل ١ : هذا ما كنت أريد أن ادعوه إليه في ديالى.

{انتقال سريع إلى المجموعة}

رجل ٧ : شاعر مثله يستحق أن ندعوه مراراً وتكراراً حتى يقبل الدعوة.

رجل ٣ : سيقبلها حتماً.

رجل ٧ : وما أدراك أنه سيقبلها؟

رجل ٣ : لأنه يعشق الموسيقى، والطرب، والغناء الريفي القديم.

{انتقال سريع إلى المتهاتفين والمجموعة}

رجل ٢ : آلو... هل تسمعني؟

رجل ١ : نعم أسمعك.

رجل ٢ : للريل وحمد قصيدة لم يكتبها النواب.

الجميع : (بتعجب واستنكار) ماذا! لم يكتبها النواب! من كتبها إذن؟

رجل ٢ : شاعر عراقي مجهول.

الجميع : هل تملك دليلاً.

رجل ٢ : لا دليل عندي ولكن يمكنكم أن تسألوا النواب.

الجميع : هذا محال (يسمعون صوتاً قادماً من وراء الكواليس. يدخل رجل يشبه النواب كثيرا).

الرجل : ولماذا محال. ها أنا ذا الآن بينكم كما ترون.

الجميع : (غير مصدقين) من أنت؟

الرجل : أنا النواب.

الجميع : إن كنت النواب حقاً أصدقنا القول. هل أنت من كتب للريل وحمد؟

الرجل : وهل ينبغي علي أن أجيب على مثل هذا السؤال؟

الجميع : نعم (يتحرك الكلّ مشكّلين ما يشبه المحكمة. يضعون الرجل في قفص الاتهام).

رجل ٢ : (يجلس في منتصفهم فيبدو كما لو كان قاضيا. المنادي

يصرخ بالجميع. "محكمة".. فيثار لغط في القاعة. يضرب القاضي المنضدة بالمطرقة فيسود الصمت) هل أنت من كتب للريل وحمد؟

الرجل : اسألوا حمد فعند حمد الخبر اليقين.

رجل ٢ : بل نسألك أنت؟

الرجل : إذن.. هو الحكم بالإعدام ثانية كي تطفأ الأضواء، ويسدل الستار على حمد. لن أجيبكم أبداً. ولن يجيبكم حمد. وسأقول وإياه كلمتنا يوما ما في ساحة التحرير. (مع الموسيقى يسدل الستار على خشبة المسرح أو تطفأ الأضواء تدريجيا fade out).

أديلايد ٢٠١٢

مسرحية

حدث ذات حب

شخوص المسرحية

الرجل الأول

الرجل الثاني

الدمية

عدد من الممثلين

الإهداء:
إلى روح شكسبير الهائمة
في براري الأجساد المعذبة

يظلم المسرح تماماً ومع الموسيقى الحلمية الهادئة تتوهج الإضاءة مركّزة على سرير محاط بتول زهري شفاف. يدور السرير على محوره مع النغم الهادئ للموسيقى فنرى دمية بهيئة أنثى، وإلى جانبها رجل ظهره مواجه لظهرها. يدخل من إحدى جهات المسرح رجل بملابس نوم تشبه إلى حد ما تلك التي يرتديها النائم على السرير. يتحرك كما لو أنه يطير في الهواء فلا تكاد قدماه تمسّان الأرض. يتقدم صوب الرجل النائم بحركات تشي بقدرته الجامحة للرقص على الحبال. يقف قريباً منه. يمدّ يده ليوقظه فيجفل الرجل ومع جفلته تتوقف الموسيقى بشكل مفاجئ. يلقي الرجل نظرة بانورامية على المكان كلّه وإذ يطمئن لعدم وجود أحد ما يعود للنوم ثانية، وثانية يمدّ الرجل يده إليه. يهزّه بقوة فينهض النائم خائفاً. يتنحّى الرجل عن النائم قليلاً. يترك النائم سريره باحثاً عمّن أيقظه في ساعات الليل الأولى. يدور حول السرير. ينظر إلى الدمية. يسحب غطاءً خفيفاً من أسفل السرير ليغطي به نصفها السفلي. يتراجع عن السرير قليلاً. يشعر أن جسمه لامس جسماً غريباً. يستدير فيفاجأ بوجود شخص يشبهه. يتراجع إلى الوراء بسرعة فيتعثر بالسرير. يجلس على حافته مرتبكاً. يبتسم الرجل له ثم يغادر مبتعداً. يطلب منه التوقف فيتوقف عند حافة المسرح. يقترب منه قليلاً.

الرجل الأول : (بتردد) هل جئت من هنا (يشير باتجاه جمهور النظارة)

الرجل الثاني : (يهز رأسه نفياً)

الرجل الأول : من أين جئت إذن؟

الرجل الثاني : (الرجل الثاني يكتفي بابتسامة محيّرة)

الرجل الأول : أعني كيف دخلت إلى مخدعي والأبواب كلّها مقفلة؟

الرجل الثاني : (يهم بمغادرة المكان)

الرجل الأول : (بأمر) توقّف (يتوقّف الرجل في محلّه لا يريم. يتقدم منه. يدور حوله متفحصاً هيئته. يواجهه بإصرار) من أنت؟

الرجل الثاني : (يتقدم من الرجل الأول فيتراجع الأول بدهشة واستغراب. يجلس على حافة السرير)

الرجل الأول : (مرتبكاً) م م ماذا تريد؟ إنها لي، لا علاقة لها بأحد غيري.

الرجل الثاني : (يكتفي بابتسامة مشفقة)

الرجل الأول : (ينظر إليها ثم إلى الرجل) يبدو لي أنك تعرف شيئا عنها أو تريد البوح بشيء. حسنا... أنا أعرف كلّ شيء عنها، كلّ شيء فهل في هذا ما يغيظك؟

الرجل الثاني : (لا يحير جواباً)

الرجل الأول : (ينظر إليها ثانية. يختفي الرجل الثاني) يبدو إنني لم آخذ كفايتي من النوم (يضطجع على السرير متناسياً أمر

الثاني الذي اختفى دون أن ينتبه لاختفائه. يلقي نظرة بانورامية على المكان) مشكلتي أنني أحلم كثيراً، وغالبا تراودني الأحلام قبل يقظتي بقليل، أو عندما تكون مثانتي ممتلئة باليوريا. ولا أعرف لماذا تتكرر بعض الأحلام وإن اختلفت تفاصيلها حول. حول (يشير إليها) هذه التي أعشقها عشقاً خالصاً (ينام. يظهر الثاني ثانية. يتقدم من السرير. يوقظه. ينهض بسرعة محتدّاً) أنا لم أنم بعد حتى تأتي لتوقظني في هذه الساعة المزعجة، ثم من طلب منك إيقاظي؟ أنت تعمل كآمر الحظيرة يوقظنا وقت لا نريد، ويتحكم بوقتنا حيث يريد. ألا قل وبسرعة من طلب منك إيقاظي؟

الرجل الثاني : (بالسرعة نفسها يشير إليه)

الرجل الأول : (مستغرباً) أنا!

الرجل الثاني : (يبتسم)

الرجل الأول : هل أنت بَكِيم!؟

الرجل الثاني : (يهز رأسه نفياً)

الرجل الأول : أأنت جزء من حلم لم ينته بعد؟

الرجل الثاني : (يهز رأسه نفياً)

الرجل الأول : إذن غادر حالاً ولا تعد لِخدعي ثانية.

الرجل الثاني : (يهم بالمغادرة لكنه يتوقف في منتصف الطريق)

الرجل الأول : لماذا توقفت؟ ألم أقل لك غادر؟

الرجل الثاني : (يتقدم من الأول. يقف على مقربة منه)

الرجل الأول : (بحدة) هل سمعت ما قلت؟ قلت لك غادر، ولم أقل لك ارجع (يشير بيده علامة الخروج من المكان)

الرجل الثاني : (يغادر غير مبال بصراخ الرجل)

الرجل الأول : (ينادي عليه) قف عندك ولا تتحرك حتى آذن لك. هل سمعتني؟

الرجل الثاني : (لا جواب)

الرجل الأول : (لنفسه) يبدو لي أنه أخرس بالولادة أو البلادة (ينادي عليه) هيه أنت لا تبرح المكان قبل أن آمرك بذلك.

الرجل الثاني : (لا جواب)

الرجل الأول : هذه فرصتي للتعرف على حقيقته الغامضة. سأبدّل ملابس النوم أولاً بملابس غيرها (يرتدي قميصاً وبنطالاً وربطة عنق زرقاء) وسأضع منديلا في جيبي، ثم أنادي عليه لأحقق معه بهدوء (يكمل ارتداء الملابس) حسنا يمكنك الدخول الآن.

الرجل الثاني : (نسمع صوته من وراء الكواليس) حسن أنا قادم.

الرجل الأول : (يفاجأ بسماع صوته للمرة الأولى) يا إلهي إنه ليس أخرساً! لقد نطق بـ بـ بصوت سمعته و.. و.. وكأنه خرج من أعماقي. عجباً... هل أكون قد سمعت

نفسي وهي تجيب نفسها! (ينادي مرة أخرى) هيه أنت أيّها الغامض هل تسمعني؟

الرجل الثاني : أسمعك.

الرجل الأول : (يفاجأ أكثر) إنه ينطق فعلاً!

الرجل الثاني : (يدخل) ها أنا ذا.

الرجل الأول : (يصعق الرجل لهول المفاجأة عندما يراه مرتدياً الملابس نفسها التي ارتداها منذ قليل. يتدارك الأمر بسرعة. يفكر قليلاً ثم لنفسه على انفراد) عليك أن تعرف سرّه الآن. إنها فرصتك للإيقاع به (يوجّه كلامه للرجل الثاني) عذراً أنا أعاني من ألم في ذراعي، وأريد ربطها ليخفّ الألم.

الرجل الثاني : لكنني لا أشعر بالألم بتاتاً.

الرجل الأول : ولماذا تشعر بالألم أنت؟ أنا صاحب الألم حسب.

الرجل الثاني : معك حق. اعذرني يا سيدي لفضولي.

الرجل الأول : لا عليك فقط اعطني المنديل.

الرجل الثاني : سأعطيك إياه.

الرجل الأول : (بإصرار) الآن.

الرجل الثاني : يبدو أن حاجتك إليه ماسة جداً.

الرجل الأول : (لنفسه) يا لك من مراوغ لعين. إنه لا يملك منديلاً كالذي في جيبي وهنا يكمن الفرق الذي أبحث عنه.

الرجل الثاني : هل قلت شيئا؟

الرجل الأول : لا لم أقل أي شيء.

الرجل الثاني : (يتقدم من الأول. يمد يده داخل جيبه ويخرج منديلا مشابها لمنديل الأول) إنه لك. خذ.

الرجل الأول : (مصعوقا يتناول المنديل ثم لنفسه) إنه المنديل نفسه بالضبط. أيكون قد سرقه مني دون أن اشعر بأصابعه وهي تتوغل في جيبي (يمد يده في جيبه ويخرج المنديل دون أن يلفت انتباه الثاني) يا إلهي كأن هذا المنديل قطعة من هذا!

الرجل الثاني : (بخبث) هل أساعدك في ربطها؟

الرجل الأول : (يقترب من الثاني. يهجم عليه. يطرحه أرضاً. يمسك بخناقه) إنْ لم تقلْ لي من أنت فلن أكفّ عن خناقك.

الرجل الثاني : (يتحدث بصعوبة) وماذا في ذلك؟ استمر بخناقي وستجد نفسك ميتا معي بعد لحظات قليلة.

الرجل الأول : (يتركه ويتراجع بسرعة وقد أخذت الدهشة منه كل مأخذ. يشير له بسبابته) أنت (فترة صمت) أأنت أنا!

الرجل الثاني : وهل تراني كذلك؟

الرجل الأول : لا شأن لك بما أرى. قل لي فقط: هل أنت أنا؟ (ينتظر الاجابة بفارغ الصبر)

الرجل الثاني : (بهدوء) لا أظن.

الرجل الأول : ماذا تعني (مقلدا صوته بشيء من السخرية) "لا أظن"

الرجل الثاني : أعني أننا مختلفان.

الرجل الأول : وما ذلك الاختلاف؟

الرجل الثاني : (يشير إلى الدمية النائمة)

الرجل الأول : أعرف أن ليس لك مثلها وهذا لا يعدّ فرقاً.

الرجل الثاني : إنه اختلاف الثقافات.

الرجل الأول : كيف؟

الرجل الثاني : ألا ترى معي أنها لا تلائمك كثيراً؟

الرجل الأول : أرجوك لا تتدخل بخصوصيتي.

الرجل الثاني : الحديث عنها ليس بالمسألة الخاصة. إنكم تتمسكون بالدمى حتى بعد الضجر منها.

الرجل الأول : أولا إنها ليست دمية. وثانياً من أنتم ومن نحن؟ إنك تتحدث كما لو أننا من قومين مختلفين.

الرجل الثاني : ألسنا مختلفين فعلاً؟

الرجل الأول : بماذا نختلف؟

الرجل الثاني : بنظرتنا للدمية على سبيل المثال.

الرجل الأول : لا تقل أنها دمية أرجوك.

الرجل الثاني : حسنا يبدو لي أنك لا تريد استبدالها مع أنك تود ذلك

فعلاً (موضّحاً بشكل مباشر) هنا يمكننا صنع دمية على وفق ما تفكر به أو ما تريده من مواصفات الإثارة والجمال والحركة.. و.. و.. إلخ.. إنها...

الرجل الأول : (يقاطعه بحدة) لا تكرر وصفها بالدمية (الثاني لا يتكلّم) نحن مختلفان إذن.

الرجل الثاني : بكل تأكيد. أنا أعيش هنا متنعما بما لم أجده هناك بينما أنت تعيش بيننا ولكن كما لو أنك تعيش هناك، ولهذا سوف لن تستطيع العيش كما ينبغي.

الرجل الأول : أكل هذا لأنني متمسك بها؟

الرجل الثاني : وهي متمسكة بك أيضاً مع أنها تتطلع لحياة أخرى.

الرجل الأول : وما أدراك بها وبما تتطلع إليه؟

الرجل الثاني : قد لا تصدقني إنْ بحت لك بما أعرفه عنها (صمت) وعنك أيضاً.

الرجل الأول : هذا يتوقف على طبيعة ما تبوح به.

الرجل الثاني : حسنا اصغ لي ولا تقاطعني.

الرجل الأول : سأفعل.

الرجل الثاني : تعال إلى هنا (يقفان على جانب من جوانب المسرح. الثاني يقف وراء الأول وهو يهمس كلماته في أذن الأول مباشرة) انظر إلى دميتك المصون. انظر ولا تقل أي شيء (يهزّ رأسه علامة الموافقة. يتصاعد صوت

الموسيقى. تنهض بكامل حلّتها وزينتها. تعدل شعرها. تضع بعض المساحيق على وجهها. تستعرض هيأتها بغنج. تسمع طرقاً على الباب. تذهب لترى من الطارق. تفتح الباب. تفاجأ بوجود رجل تعرفه. تحاول غلق الباب بوجهه لكنه يوقفها)

الطارق : عفوا سيدتي لقد نسيتِ هذا عند بائع الخضار.

الدمية : (تأخذ منه كيس الخضار) شكراً لك.

الطارق : ألا يمكنني الدخول يا سيدتي.

الدمية : آسفة أنا وحدي مع الأطفال. لا يمكنك الدخول.

الطارق : معك حق سيدتي ولكن هل يمكن ان تتصلي بي في المرة القادمة كي أقلّك بسيارتي إلى السوق ثم أعيدك ثانية إلى البيت؟

الدمية : كلا شكراً.

الطارق : يا سيدتي أعرف أنك وحيدة هنا، وأن زوجك ذهب إلى الحرب فهل تسمحين لي بتقديم العون لك.

الدمية : كلا على الإطلاق، ثم بصفة من تعرض عليّ المساعدة؟

الطارق : بصفتي. بصفتي. بصفتي معجب وحسب.

الدمية : لا شكرا لك. دعني أغلق الباب فالأطفال بانتظاري.

الطارق : كما تشائين سيدتي. أغلقي الباب ولكن أرجوك لا تبقي الباب مغلقاً بوجهي طويلاً.

الدمية : حسناً مع السلامة (تغلق الباب. تعود إلى السرير. تشعر بنشوة غريبة. تغمض عينيها برفق. تشبّك أصابع يديها قريباً من قلبها الذي بدأ يخفق قليلاً قليلا. ترمي جسدها على السرير بخفر. تسدل رمشيها، وتستغرق بنوم هادئ بينما تختفي الأضواء عليها شيئاً فشيئاً. يصرخ الأول مستنكراً وهو يتجه إلى وسط المسرح)

الرجل الأول : لن أسمح لك بالتدخل في شؤون أسرتي. هذه حقارة. انتهاك لحرمة العائلة.

الرجل الثاني : هوّن عليك يا رجل. أنت لم تر إلا القليل.

الرجل الأول : وهل ثمة فظاعة أكثر من قليلك هذا؟!

الرجل الثاني : للأسف... نعم ثمة ما تحلم به دوماً، أو لأقل ثمة حلم مزعج لك يتكرر دوما وإن اختلفت تفاصيله.

الرجل الأول : (بتردد مشوب بلهفة) وما ذاك يا رجل؟ (يشير له فينتقلان إلى الجهة الأخرى أسفل يمين المسرح. الثاني يقف وراء الأول كما في المرة السابقة. تدخل إلى المسرح حظيرة قتالية ترمي نفسها على الأرض مع تصاعد أصوات الرصاص وانفلاق القذائف. تتدحرج قليلاً. تأخذ وضع انبطاح قتالي وتبدأ فتح النار على عدو وهمي. تتحول الخلفية (السايكلوراما) إلى اللّون الأحمر كما تظهر عليها السنة النيران. يصاب أفراد الحظيرة الواحد تلو الآخر وهم يتلوون

ويعتصرون أنفسهم. يصاب الأول في بطنه. يمسك الرجل الأول بطنه بقوة. يسقط أمام الرجل الثاني. يتلوى من الألم وكأنه المصاب فعلاً، وفي الوقت نفسه تتلوى الدمية معه وكأنها تشعر بما يشعر. يتوقف عن الحركة بينما تطلق الدمية صرخة تهز أرجاء المسرح وتقف مرعوبة من هول ما رأت. تترك السرير. تتمشى في أرجاء المسرح. تسترخي قليلا. تشرب كأسا من الماء. تستدير فترى الطارق واقفاً بانتظارها. تتردد في الذهاب إليه. تتغلب على ترددها:

الدمية : أنت تقف هنا.

الطارق : يومياً يا سيدتي.

الدمية : أتنتظر أحداً؟

الطارق : نعم.

الدمية : إذن سأغادر الآن.

الطارق : انتظري أرجوك.

الدمية : لِمَ عليّ أن أنتظر.

الطارق : لنتحدث مع بعض.

الدمية : الحديث معي لا ينفعك بشيء. أنا لي رجلي.

الطارق : أعرف.

الدمية : إذن.

الطارق : دعينا نتحدث قليلاً. أرجوك.

الدمية : حسنا عن ماذا تريد أن نتحدث؟

الطارق : عنك. عني. عن أي شيء تودين.

الدمية : إذن اخبرني عن نفسك شيئاً.

الطارق : بل أود التحدث عنك يا سيدتي أن لم يكن لديك ما يمنع رغبتي.

الدمية : وماذا في هذا. تحدث.

الطارق : في الحقيقة والواقع أنا أرى فيك كل ما أحبّ أن أراه في المرأة المتكاملة الجمال والحكمة. تعجبني ثقافتك، وتطلعك إلى المستقبل، وتشبثك بعائلتك، وتضحيتك في سبيلها. كما احترم فيك يا سيدتي نزاهتك، وكرم أخلاقك، وإخلاصك، باختصار شديد أحب كل شيء فيك.

الدمية : شكرا لحسن مشاعرك ونبل خلقك.

الطارق : دعيني أقول لك يا سيدتي أنني جاهز عندما تحتاجين إليّ في أي وقت.

الدمية : ماذا تعني أنك جاهز في أي وقت؟

الطارق : أعني إنني جاهز للتحدث معك إن كان حديثي يترك في نفسك أثراً طيباً. أنتِ لم تقولي شيئاً عن نفسك. أحب أن أسمع منك.

الدمية : ليس عندي ما أقوله لك سوى إنني استمتعت بالحديث معك. عليّ أن أعود الآن لبيتي.

الطارق : وهل سنلتقي قريباً

الدمية : لا أستطيع أن أعدك. سأنشغل بزوجي طوال فترة إجازته الدورية.

الطارق : حسنا رافقتك السلامة سيدتي (تعود إلى البيت فتفاجأ بوجود زوجها جالساً على السرير. تركض إليه لتضمّه بين ذراعيها. ينهض يعانقها ببرود واضح. يساورها الشكّ في أنه رآها مع الطارق)

الدمية : آسفة حياتي كان ينبغي أن أكون باستقبالك.

الرجل الأول : (بعدم رضا) يكفي استقبال الأولاد لي.

الدمية : أنا آسفة حبيبي

الرجل الأول : لا داعي للأسف.

الدمية : لم لم تخبرني أنك قادم إلينا؟

الرجل الأول : لن تفرق كثيراً.

الدمية : كيف لا تفرق؟

الرجل الأول : إنها ليست إجازتي الدورية. جئت بمهمة وسأعود غداً.

الدمية : أهي مهمة أم شيء آخر.

الرجل الأول : إلى ماذا تلمحين؟

ادمية : إليها طبعاً.

الرجل الأول : إليها! من؟

الدمية : هل يوجد غيرها؟

الرجل الأول : قلت لك للمرة الألف أن لا شيء بيننا.

الدمية : أنا لم أعني الآن. أنا أعني في الماضي.

الرجل الأول : لا في الماضي ولا في الحاضر.

الدمية : لماذا تصرّ على نفي ما لا يمكن نفيه؟ ها؟ لا عليك بهذا الموضوع لقد قفلناه ولن نعود إليه ثانية.

الرجل الأول : كلّ مرة تقولين لن نعود لهذا الموضوع ثم تعودين. أتريدين ابتلائي بهذه التهمة على الرغم مني؟ أن كنت تريدين فأنا موافق.

الدمية : موافق على ماذا يا حبيبي؟

الرجل الأول : على التهمة.

الدمية : قلنا لن نعود لهذا الموضوع.

الرجل الأول : حسنا ماذا تريدين؟

الدمية : ألا تعرف؟

الرجل الأول : لا.

الدمية : أحقاً؟

الرجل الأول : أووووه. دعيني الآن لوحدي.

الدمية : لن أدعك تفكر بها لوحدك.

الرجل الأول : (غاضبا) من هي؟ ألا تكفين عن ازعاجي بها. لماذا هذا الإصرار عليها؟ ألا تشبعين من ذكرها.

الدمية : ماذا قلنا لتغضب كل هذا الغضب؟ أكل هذا من أجلها؟

الرجل الأول : يا إلهي هذه المرأة ستجنني حقاً، إلى متى نظلّ أسرى هذه الحكاية المملة؟! الآن اخرجي لو سمحت لأنام.

الدمية : بل سأنام قريبا منك.

الرجل الأول : (منفعلاً) لماذا؟ ها؟ لتتجسسي على أحلامي أيضا؟

الدمية : خلص لن أنام إلى جانبك. خذ راحتك مع حلمك الوردي (ينام. يبدأ شخيره بالتصاعد) آه لو يعرف كم أحبه (تطيل النظر إليه) إنه يعلم فعلاً ولكن جلّ ما أخشاه أن يكون عارفاً بما جرى بيني وبين ذلك الرجل الغريب (بشعور واضح بالندم توجه حديثها للغريب كما لو أنه يقف على مقربة منها) من أين جئت؟ وكيف سمحتُ لنفسي بمحادثتك؟ كان عليّ أن أوقفك في الوقت الملائم. لا شكّ أنك ستعتبرني متواطئة معك. المرأة المتواطئة ولو بنظرتها تمهّد للرجل طريق الدخول إلى عالمها المغلق وهذا ما أردته بالضبط. الدخول إلى عالمي الخاص. اختراق الحاجز الذي ما كان يجدر بي زحزحته إطلاقاً (تفكر) أعتقد

أن رجلي ليس من النوع الذي يلقي بالاً لهذه الأمور الجانبية. لقد سمعته عشرات المرات يتحدث عن انفتاحه في الحياة، ثم أنني لم أرتكب خطأ ما (تنظر إليه) حبيبي كم أنت متعب الآن، وكم أنا تافهة في تسبب الإزعاج لك. أعدك عندما تصحو سأحدثك عن الطارق بأمانة (تطفأ الأضواء على المسرح بينما تظل بقعة من الضوء مسلطة على الأول والثاني)

الرجل الأول : (غاضباً) إنك تختلق الأحداث وتلفقها. لم يحدث لنا هذا أبداً.

الرجل الثاني : لم أقل أن هذا هو ما حدث فعلاً.

الرجل الأول : ماذا حدث إذن؟

الرجل الثاني : لنقل حلم من أحلامك المريرة.

الرجل الأول : (يصيبه الذهول. يظلّ صامتاً بلا حراك. يقترب الثاني منه. يهمس في أذنه)

الرجل الثاني : (بخبث) كان هذا ما سمعتَه منها ولم تعلّق عليه. عندما حدثتْكَ عن الطارق في إجازتك الدورية ثانية ثرت، وغضبت، وطالبتها أن تدلك على بيته لتلحق به الضرر الذي يستحق. وعندما قالت لك ماذا تستطيع أن تفعل له أجبتها بحقد دفين سأحرق سيارته وهذا أقل ما يمكنني فعله الآن. ورحت تفكر بخطة محكمة، بانتقام يوفر لك الشعور بالرضا. لقد

آلمك حديثها معه. وكأن في الحديث انتزاع لملكيتك الشخصية.

الرجل الأول : أنت ستسبب لي الجنون.

الرجل الثاني : بل أسبب لك الراحة.

الرجل الأول : الراحة؟ (يقترب منه) لماذا؟

الرجل الثاني : لأشعر بها أنا أيضاً.

الرجل الأول : وما شأنك أنت براحتي. أنا أشعر بالراحة دوما.

الرجل الثاني : هل تريد الكذب عليّ أم على نفسك؟

الرجل الأول : توقف ولا تتجاوز الحدود.

الرجل الثاني : أنا أعرف حدودي لأني أعرفك أكثر مما تعرف نفسك.

الرجل الأول : أحقاً؟

الرجل الثاني : نعم (يبتعد عنه قليلاً) يبدو أنك لا تريد الاعتراف، أو كشف ما يحدث لك شخصياً.

الرجل الأول : ما حدث صار الكلّ يعرفه.

الرجل الثاني : ليس كل ما حدث. ثمة أمور لا تزال كامنة في دخيلتك.

الرجل الأول : وما أدراك بدخيلتي؟

الرجل الثاني : معرفتي بك، ومعايشتي لظروفك منذ طفولتك وحتى اقترانك بها.

الرجل الأول : هل أنت مصاب بالعقل؟

الرجل الثاني : ربما سأصاب بسببك.

الرجل الأول : ولماذا بسببي.

الرجل الثاني : لأنك لا تستطيع أن تكون الرجل الصريح والشجاع.

الرجل الأول : أتعتقد هذا؟

الرجل الثاني : نعم.

الرجل الأول : كيف؟

الرجل الثاني : أنا سأقول لك. تعال الى هنا (ينتقلان إلى جهة خارج الخشبة) أنظر إلى هناك (يشير إلى خشبة المسرح) يظهر على الخشبة الأول وعائلته وهم يتجولون داخل سوق كبير. صوت محرك سيارة تتوقف قريباً من المكان. ينزل سائقها وينادي عليها دون عائلتها:

السائق : انت يا سيدتي. هل تتكرمين عليّ بتوصيلك إلى البيت؟

الدمية : ألا ترى إنني مع عائلتي!

السائق : أرى ذلك ولكنني بحاجة ماسة لمحادثتك أنت فقط. أرجوكِ

ادمية : (لزوجها) هل أذهب معه؟

الرجل الأول : ماذا أجننت! أنت سيدة لها زوج وأولاد. كيف تسمحين لنفسك بمرافقة رجل غريب! ماذا سيقول الناس عني. اسمعي إن ذهبت إليه فأنت طالق.

الدمية : ما هذا الكلام يا حبيبي. هل أنت من يقول هذا؟ أتشك بحبيبة قلبك؟

السائق : إنني انتظر يا سيدتي.

الرجل الأول : إياكِ والذهاب.

الدمية : ولكن أليس من المهم أن أعرف ماذا يريد؟

الرجل الأول : دعيه ولا تلتفتي إليه. لقد جرّ انتباه الناس إلينا.

السائق : أرجوك يا سيدتي انا ما زلت انتظر.

الرجل الأول : هذا النذل سيفقدني صوابي على مرأى من الجميع.

الدمية : لا تفعل أرجوك سأذهب إليه (تغادر صوب السيارة فتنطلق بها مسرعة بينما يظل الأول مذهولاً غير مصدق أنها خالفت رغبته في البقاء مع العائلة)

الرجل الأول : عليها اللّعنة كيف أمكنها فعل ذلك؟! وماذا عليّ أن افعل بعد الذي حصل؟ هذا ليس معقولا أبداً (يختفي المنظر من على خشبة المسرح)

الرجل الثاني : أرأيت؟ إنك لم تفعل شيئاً. ولأنك تحبها حباً جما تركت الأمر وكأن شيئاً لم يكن على الإطلاق لكنّ أحلامك لم تغفر لك ذلك. ولهذا صارت تعذبك كل ليلة. تذكرك كل ليلة إنك السبب وراء تصرفاتها التي تحولت إلى مصدر إزعاج كبير لك.

الرجل الأول : أضغاث أحلام. مجرد أضغاث أحلام.

الرجل الثاني : لا تزال تبرر لها القيام بما تكرهه، وتمقته مقتاً شديداً في سرّك، ولا تزال رغبة لومها تمور في دخيلتك، والسؤال الملح لا يزال يطرح نفسه بإصرار مهول: لماذا فعلت هذا خلافاً لرغبتك؟ أما كان يمكن أن لا تفعل ما فعلت؟ أردتَ إلقاء اللوم عليها ولم تلقه فقمعت تلك الرغبة في دخيلتك كلّ هذه السنين.

الرجل الأول : قلت لك انها أضغاث أحلام حسب.

الرجل الثاني : ليكن... ولكن قل لي لماذا كلّما التقيتم ببعض أصدقائك من الذكور تسمح لها بتقبيلهم قبلة أخوية تشكك في أخويتها من جانبهم؟ وتتمنى لو أنها لم تفعل ذلك؟ ثم تترك لنفسك مجال القاء اللّوم عليها؟ أهذا حلم آخر من أضغاث أحلامك أم أنه الواقع فعلاً؟ لا أظنك قادر على قول ما يخالف هذا.

الرجل الأول : معك حق. كان ذلك مرهقاً فعلاً وربما كان هو من تسبب في ايذائي طوال ذلك الوقت.

الرجل الثاني : جميل، جميل جداً، هذه هي المرة الأولى التي تعترف فيها بما حدث لك.

الرجل الأول : لأنك لم تترك لي فرصة للنجاة من شراكك الخبيثة، ولأنني موقن أنك... أنك (يحاول تحويل سير الكلام) إنك لم تحدثني عن نفسك وأنت العارف بكل شيء عنها.

الرجل الثاني : (مبتسماً) عندما جئت إلى هنا انقلب السحر عليّ فأصبحت بين ليلة وضحاها خائنا لعقود محبتنا، ومتهماً بعلاقات لم أقترفها. أحيانا يخطر في بالي اننا نطرد الشك عنّا باتهام غيرنا. أنا لم أعد أبالي بما يوجّه إليّ من التهم الباطلة وغير الباطلة فلقد بلغت من العمر والحكمة ما يفوق التهم كلّها. وكما ترى إنني الآن رجل آخر لا يشبهك.

الرجل الأول : وهل كنت تشبهني سابقاً؟

الرجل الثاني : ألا تعتقد ذلك؟

الرجل الأول : أحيانا أنظر اليك وكأنك أنا، وعندما أتوغل في أعماقك أراك غير ذلك.

الرجل الثاني : وكيف تسنى لك الدخول إلى أعماقي وأنت لم تتعرف علي إلا الآن؟

الرجل الأول : بواسطة الدخول إلى أعماقي أنا.

الرجل الثاني : وهل يعني لك هذا أن أعماقنا هي نفسها.

الرجل الأول : لا أدري.

الرجل الثاني : إذن دعني أخبرك الآن.

الرجل الأول : تخبرني عن ماذا؟

الرجل الثاني : عنك طبعاً.

الرجل الأول : ولماذا تتهرب من الحديث عن نفسك أنت؟ حدثني عن نفسك رجاءً.

الرجل الثاني : لا فرق عندي على الإطلاق.

الرجل الأول : كيف! هل خلقنا من طينة واحدة؟

الرجل الثاني : دع مسألة الطينة واصغ إليّ حسب (يتمشى مفكرا ثم) في الحقيقة لم يكن لي وجود مستقل إلا بعد وصولنا إلى هنا. لقد اختلفت الظروف المحيطة كلّها فمن واقع الحروب والدمار والخراب إلى واقع مسالم مشيّد على احترام المرء لنفسه وللآخرين. صرت أعيش خارج ذاتي مرتبطاً بهذا العالم الباذخ بالحرية والجمال والسلام، وفي داخلي بقيت وفياً للهمّ والغمّ والمواجع والخوف من الموت على قارعة الطريق. لم أفكر بخيانة ذاتي، أو استبعاد مكابدتها ولكن الواقع فرض نفسه عليّ يوما بعد آخر، ولم يترك لي فرصة التمسّك بالماضي فقررت الانفصال عنك.

الرجل الأول : عني أنا؟!

الرجل الثاني : نعم عنك أنت.

الرجل الأول : كيف؟

الرجل الثاني : هه كأنك لم تصغ إلي وأنا أحدثك عن أمور لا أحد يعرفها سواك. وعن مشاعر لم تكن لأحد سواك.

الرجل الأول : بل أنت الذي عتمت على ما تبيّن لي لحظة سألتك: أأنت أنا؟

الرجل الثاني : ولكنني أنا لست أنت فعلاً.

الرجل الأول : من تكون إذن؟ وكيف عرفت ما لا يعرفه أحد غيري؟

الرجل الثاني : لأنني كنت قابعاً في داخلك دون أن تشعر بوجودي.

الرجل الأول : أنت الشيطان إذن.

الرجل الثاني : وقد يكون الشيطان أنت لا أنا.

الرجل الأول : لماذا أنا؟

الرجل الثاني : لأنك تعمل بخبث ودهاء.

الرجل الأول : وأنت؟

الرجل الثاني : أنا أعمل بحكمة وعقل.

الرجل الأول : حتى عندما كنت قابعاً في داخلي!

الرجل الثاني : لا... كنتُ جزءًا منك وها أنت ترى أنني انفصلت عنك، وصرت أكثر تقبلاً للحياة منك. نحن نختلف الآن في أغلب الأشياء.

الرجل الأول : ولماذا لا نختلف في كلّ الأشياء؟

الرجل الثاني : لسبب واحد هو أننا من جذر طيني واحد.

الرجل الأول : أنت بحكمتك وعقلك لم تستطع إيهامي أنك لا تريدها. لا يزال قلبك ينبض بحبها، ولا تزال عواطفك وقفاً عليها، ولم تفكر يوما بصناعة دمية على شاكلتها أو على الشاكلة التي تريد.

الرجل الثاني : صدقت ولكنني لا أريد مشاركتك إيّاها.

الرجل الأول : وهل تستطيع؟

الرجل الثاني : نعم... أستطيع.

الرجل الأول : أنت تغالط نفسك فما من أحد قادر على فعل هذا.

الرجل الثاني : أنا الوحيد القادر على فعل هذا وأنت الأعرف بقدراتي.

الرجل الأول : ما السبيل إلى التخلّص منك؟

الرجل الثاني : القتل. اقتلني لتتخلص مني إلى الأبد.

الرجل الأول : وهل سأموت معك؟

الرجل الثاني : أليس الأفضل لك أن تموت؟

الرجل الأول : لكن موتي سيورثها حزنا مدى الحياة.

الرجل الثاني : هههههههههههههههه هاه كم أنت ساذج يا هذا! هل تعرف أحدا مات حزنا على فقيده؟

الرجل الأول : ماذا ستفعل بحياتها إذن؟

الرجل الثاني : ستبكي عليك بألم، وستمزق ثيابها، تلطم الخدود، وتضرب صدرها حتى يدمى ولكن بعد هذا كله ستبرد مشاعرها، وتتجمد أحاسيسها حتى يقبل الفارس الجديد فيبدد ظلام روحها وعتمة حياتها لترى نور المحبة مشرعاً أبوابه من جديد.

الرجل الأول : أهذا تلميح إلى الرجل الذي طرق بابها ذات حلم؟

الرجل الثاني : بل قل ذات حب.

الرجل الأول : لكنها لا تحبه.

الرجل الثاني : ستحبه بالتأكيد.

الرجل الأول : لو أرادت ذلك لفعلت.

الرجل الثاني : ليس بوجودك أنت.

الرجل الأول : وكيف لي أن أعرف أنها ستفعل؟

الرجل الثاني : اقتلني فتكون حياتك قد انتقلت إلى العالم الآخر، وتكون روحك قد تحررت من عبوديتها. حينها سيظهر رجل الحلم وينتشلها من عذاباتها المريرة.

الرجل الأول : أي خبث عجيب هذا! إنك تزرع في نفسي شكوكا لا حدود لها، وتدفعني للانتحار بدهاء. أإلى هذا الحد تريد التخلص مني!

الرجل الثاني : بل أريد تخليصك مما أنت فيه من العذاب الذي سببته لك طيبتها المفرطة، أو سذاجتها المفرطة. أريد أن أخلصك تماماً مما أنت عليه من اللوم الذي توجهه لها بسرك، ولا تستطيع الجهر به أمامها.

الرجل الأول : أتظنني ضعيفاً إلى هذا الحد؟

الرجل الثاني : (بثقة كبيرة) نعم.

الرجل الأول : حسنا سترى.

الرجل الثاني : ماذا أرى؟

الرجل الأول : اذهب إلى هناك وانظر (يشير إلى المكان الذي وقفا فيه من قبل. الرجل الأول يتحرك صوب الفراش. يوقظها بعنف) آن لك أن تعرفي أنني أعرف كل ما حدث من وراء ظهري.

الدمية : ماذا دهاك يا حبيبي؟ أنت منفعل على غير عادتك.

الرجل الأول : لا شأن لك بانفعالي، واسمعيني فقط.

الدمية : حسن أنا مصغية لك.

الرجل الأول : أكنت تحبينني حقا؟

الدمية : ما هذا السؤال يا حبيبي؟ أمن اجل هذا أيقظتني؟

الرجل الأول : نعم.

الدمية : إذن أنا أحببتك وما زلت على حبي لك.

الرجل الأول : الذي يحب لا يكذب. قولي لي ما علاقتك بالرجل؟

الدمية : أي رجل؟!

الرجل الأول : (بغضب شديد) الرجل الذي خرجت معه ذات.. ذات.. ذات (لا يستطيع النطق بعبارة ذات حبّ فيغيرها) ذات مرة.

الدمية : لم أفهم.

الرجل الأول : اسمعي... إن كنت تظنين أنني غبي...

الدمية : (مقاطعة إياه) كفى أرجوك.

الرجل الأول : لماذا؟ ها؟ ألهذا الحد لا تريدين أن أمس شعرة منه؟ ألهذا الحد ترضين بإهانتي؟ بإذلالي؟ بتلطيخ سمعتي؟

الدمية : أرجوك لا تتهم الرجل باطلاً.

الرجل الأول : وعندما تحدث معك عن نفسك من وراء ظهري ألم يكن ذاك باطلاً؟ وعندما سمعت منه كلام الإعجاب بك، بكل شيء فيكِ ألم يكن ذاك باطلاً؟ أم أن الحب يحق الباطل، ويبطل الحق؟ إن أنت إلا امرأة متواطئة.

الدمية : (ثائرة) أنا حفظت عرضك، وصنت شرفك، ولم أخنك كما خنتني أنت (تنفجر ببكاء شديد)

الرجل الأول : وماذا تسمين خروجك معه دون علمي؟ أو طرقه الباب عليك في غيابي؟ أو توصيله لك بسيارته الخاصة، أو قبولك وارتياحك لدغدغة كلماته ومداعبته لمشاعرك وإعجابه الكلي بإخلاصك ونزاهتك. ماذا تسمين مخالفة أمري من أجل الذهاب بسيارته ليتسنى له الحديث معك دوني ودون أطفالك؟ أتسمين هذا شرفاً ونبلاً؟ أتسمينه إخلاصا ووفاءً؟ (تظل في مكانها ساهمة بينما يذهب هو إلى الفراش. يدس يده تحت وسادته. يسحب مسدسه ويوجهه نحوها. ترتبك. يبدو الفزع على وجهها وهو يتقدم منها) ألست خائفة من الموت؟ أهذا ما كنت تفكرين به؟ الموت من أجل الحب.. حسنا لقد نلت ما أردت أليس كذلك؟

الدمية : نعم... هذا ما أردته بالضبط. لقد عزّ عليّ أن أفكر بغيرك وأنت معي. لم أمتلك الشجاعة الكافية لتخليصك مني، وكان شعور بالذنب يراودني كلما نمتَ إلى جانبي. كنت أقرر مفاتحتك بالأمر لكنني اتركه مشفقة على ما تحمله من أتعاب الحرب. الآن اقتلني لأريح وأستريح (تغمض عينيها بهدوء مستسلمة للموت. تنطلق رصاصة من المسدس. تفتح عينيها فترى الدماء تسيل من ثقب في صدره. تركض إليه. تضمه بين ذراعيها. يتقدم الثاني نحوه مسرعاً.

الرجل الثاني : ماذا فعلت أيها المجنون؟ لقد قتلتني معك (يبدأ بالانهيار. يسقط على جثة الأول فتتوحد الجثتان. تأخذ المرأة المسدس من يده وتوجهه إلى قلبها. تطلق النار وهي لا تزال حاضنة الرجل. تصدح الموسيقى الجنائزية وتطفأ الأضواء إلا بقعة تظل مركزة عليهما ثم تبدأ بالاختفاء تدريجياً. يظلم المسرح، ويسود الظلام الكثيف. تفتح الأضواء ثانية فنرى المرأة والرجل وهما لا يزالان ممددين على السرير.

انتهت

استراليا بداية عام ٢٠١٤

الجدار

مسرحية من تأليف:
صباح الأنباري وموفق ساوا

شخصيات المسرحية:

الرجال: رجل١، ورجل٢

المجموعة١، والمجموعة٢

الأول، الثاني، الثالث

الكاهن

الجلاد

العجوز

مواطن١، ومواطن٢

مقاتلون: مقاتل١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

اللوحة الأولى

تفتح الستارة مع الموسيقى... المسرح خالٍ تماماً، تغطي خلفيته السماء التي تتوسطها شمس ساطعة بل اشدّ سطوعاً مما هي عليه في الواقع. ومع تصاعد صوت الموسيقى صعوداً سريعاً مؤثراً يدوّي صوت انفجار هائل للشمس يهزُّ المسرح هزاً عنيفاً. تتناثر قطعٌ نارية من الشمس إلى كلّ الاتجاهات ثم تبدأ بالخفوت تدريجياً.

يظهر في الخلفية كوكب الأرض... يتقدم نحو الأمام بسرعة حتى تغطي صورته الكادر كلّه/ قطع/ ثم تعود صورة السماء صافية هادئة جميلة، ومن عمقها يتقدم شكل بيضوي غريب آخذ بالاقتراب شيئاً فشيئاً... يقترب الشكل البيضوي يبدو وكأنه بيضة عملاقة كبيرة الحجم... تتقدم البيضة بسرعة تزداد باضطراد حتى تبلغ أشدّها عندما ترتطم بمساحة الشاشة كلّها فتظلم الشاشة والمسرح معاً.

اللوحة الثانية

تفتح الأضواء تدريجياً بحزمة دائرية تحيط بالبيضة الغريبة التي استقرت على الأرض، ومع بدء الموسيقى تفتح ثغرة فيها، ويخرج منها رأس طفل صغير... ينظر الطفل مستكشفاً المكان بنظرة بانورامية شاملة... يخرج من البيضة زحفاً... تتبعه طفلة بحجمه وهي تزحف على نفس المسار... تسقط على منتصف المسرح حزمة ضوء دائرية بلون بنفسجي... يدوران معاً حول حزمة الضوء وكلما أكملا دورة واحدة يبدو عليهما النمو السريع حتى يتحولان إلى شابين يافعين... يدوران للمرة الأخيرة ولكن بطريقة معاكسة

لبعضهما بعضاً وما أن يلتقيا أمام حزمة الضوء حتى ينظر أحدهما في عيني الآخر نظرة دهشة مشوبة بانجذاب نحو بعضهما بعضاً... يقبلان بعضهما... ينهضان... تتماسك أيديهما، وعلى هدي الموسيقى يرقصان معا مبتهجين... تنتهي رقصتهما بالدخول إلى البيضة... تختض البيضة ونسمع صوت آهات صادرة من داخلها، ومع ازدياد حركة ارتعاشها ووصوله إلى ذروته تتعالى صرخاتُ ولادةِ طفلٍ جديد.

اللوحة الثالثة

تدخل مجموعة من الشخصيات بمختلف الأعمار والأجناس من كلِّ جهات المسرح وهم يرتدون الملابس السومرية القديمة... يتطلَّعون بانبهار لكلِّ شيء... يسيرون بفرح غامر... يتماسكون بالأيدي ثم يبدأون الرقص بشكل جماعي... تتحرك على الخلفية أضواء ليزرية بتشكيلات كرنفالية مبهرة... وعندما تنتهي الرقصة بضربة إيقاع قوية جداً يتوقفون عن الرقص، وتنفرد واحدة من الشخصيات في يمين المسرح مبتعدة عن المجموعة، وفي الوقت نفسه تنفرد شخصية أخرى في اليسار... الشخصيتان تشيران للمجموعة بالاقتراب منهما فينقسم الجمع على كتلتين... تنضم كلُّ كتلة لواحد من الشخصيتين.

المشهد الأول

رجل ١ : (لمجموعته) لا أحد يستطيع حمايتكم مثلي، أنا العارف بكلّ شعاب الأرض.

رجل ٢ : بل أنا من يحميكم من كلّ وحوش الأرض. أنا العارف بكلّ دروب الغابة ومسالكها الخفية.

رجل ١ : أنا من يوفر لكم ما تريدون التهامه باشتهاء.....

رجل ٢ : أنا من يوفر لكم ما تحتاجون إليه من كلِّ شيء.....

رجل ١ : أنا من يحقق أحلامكم.

رجل ٢ : أنا من يقودكم إلى الفردوس الأرضي.

رجل ١ : أنا من سيفرش لكم الأرض زهوراً وثماراً.

رجل ٢ : (لمجموعته) هل أنتم موافقون؟

المجموعة ٢ : (بصوت جماعي) موافقون.

رجل ١ : (لمجموعته) هل أنتم موافقون؟

المجموعة ١ : (بصوت جماعي) موافقون.

يهبط من فضاء المسرح على نحو مفاجئ جدارٌ سميكٌ يرتطمُ بخشبة المسرح بقوة. يفصل بين المجموعتين فتلتفت المجموعتان نحوه باستغراب. بعضهم يقترب منه. يتحسّسه بيده. يحاول دفعه للتخلص من سطوته، وإذ يفشل فانه ينادي على أحدهم).

صوت : (من المجموعة الأولى) هيه... أنت يا صاحبي. هل تسمعني؟

(يتقدم أحد رجال المجموعة الثانية من الجدار، وقبل أن يجيب على الصوت يتقدم رجل ٢ منه ويسكته)

رجل ٢ : لا ينبغي علينا مخاطبتهم بعد الآن وهم المنشقّين عنّا.

(تتوقف حركة المجموعة الثانية. تنتقل الحركة إلى المجموعة الأولى)

رجل ١ : (يتحرك نحو صاحب الصوت)

لا ينبغي لنا مخاطبة أحد منهم وهم المنشقين عنّا.

صوت : (صاحب الصوت نفسه) لكنّهم منّا. جاءوا معنا فعشنا معهم، وبينهم إخوة لنا وأقارب.

(تتوقف الحركة وتنتقل إلى المجموعة الثانية)

الصوت : وماذا يعني هذا في نهاية الأمر؟

رجل ٢ : يعني أن نحقق لأنفسنا حلمنا الخالص بخصوصيته.

صوت : كنا معاً جميعاً وكان كلّ شيء مشاعاً.

رجل ٢ : نعم... كان هذا قبل أن ينشقوا عنّا.

الصوت : والآن؟

رجل ٢ : الآن اختلف كلُّ شيء، وعلينا أن نكون الأفضل، وأنا من سيدلكم على الأفضل، والأمثل، والأكمل.

(تتوقف الحركة وتنتقل إلى المجموعة الأولى)

رجل ١ : (يقف خطيباً)

اسمعوني جميعاً. منذ الساعة سنعمل بجد على تشييد مجدنا وعالمنا الأفضل. نحن أسياد أنفسنا. وسوف لن نسمح لغيرنا مقاسمتنا السيادة.

صوت : وكيف لنا هذا؟

آخرون : نعم. كيف يكون لنا هذا؟

(تتداخل أصوات من المجموعتين)

صوت : (من المجموعة الأولى) أخي صار معهم هناك (يشير إلى ما وراء الجدار) هذا ليس عدلاً.

صوت : (من المجموعة الثانية) لقد بقي أبي هناك (يستخدم الإشارة نفسها) هذا ظلم.

صوت : (من المجموعة الأولى) أمي لم تزل هناك. (يستخدم الإشارة نفسها) لا يمكنني تركها.

صوت : (من المجموعة الثانية) ولدي الحبيب لا تبتعد عن أمك يا حبيبي.

(تختلط الأصوات مع بعضها بعضاً)

ابني... ابنتي... بابا... ماما...جدي عمي خالي حبيبي حبيبتي.....

(الكل بصوت واحد)

لماذا؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ (تطفأ الأضواء)

(المجموعتان من خلال الظلام)

مَن أطفأ نورَ الحياة؟ مَنْ أطفأ النورَ؟ مَنْ؟

رجل ١و٢ : (معاً) الكلُّ يعرفُ مَنْ، فعلامَ السؤال؟

(الأصوات نفسها تكرر السؤال نفسه)

مَنْ أطفأ نورَ الحياة؟ من أطفأ النورَ؟ مَنْ؟

رجل ١و٢ : (بصوت واحد) الجدار.

المجموعتان معاً وبصوت واحد)

الجدار!!!!!

(ضربة صنج قوية تعلن نهاية المشهد الأول)

*

المشهد الثاني

تفتح الأضواء على القسم الأيمن فقط. مجموعة من الأفراد يتحلّقون حول نار متّقدة وهم يفترشون الأرض. ثمة شخص ما يسترق السمع لما يدور بينهم.

الأول : لقد فصل بيننا هذا الجدار العجيب. ترى هل كنا السبب في هبوطه؟

الثاني : لا لم نكن السبب في هبوطه. لقد هبط لحاله حسب.

الثالث : آه لو تدرون كم امقته. لقد حال بيني وبين فتاتي فهل يعقل أن يدوم شاخصاً بيننا؟

الأول : أعتقد أن الواجب يحتّم علينا تقديسه. أليس كذلك؟

الثالث : (غاضباً) ما هذا السؤال السخيف؟

الأول : (يرد بغضب أيضاً) سؤالي ليس سخيفاً. إنه يتضمن الحقيقة.

الثالث : أيّة حقيقة؟

الأول : حقيقة الجدار؟

الثاني : (متدخلا بينهما) يا صاحبيّ لا ينبغي لكما الاختلاف بهذه الطريقة. هل نسيتما ما حلَّ بنا بعد هبوط هذه الكارثة (يشير إلى الجدار).

الثالث : أنا لم أنسَ أبداً لكنه هو من يريد أن يجعل للجدار شأناً.

الأول : هذا ليس صحيحاً. أردت فقط أن أذكركم أن لهذا الجدار قداسته.

الثالث : (ساخراً) ما قصدك من وراء هذه القداسة؟ هل ستطلب منا عبادة جدار أصم؟

الأول : أنا لم أطلب منكما عبادته. أردت فقط ان أجر انتباهكما لمكانته المقدسة.

الثاني : ها أنت ذا تعود مرة أخرى لتؤكد على مكانته المقدسة.

الأول : وماذا في ذلك يا صاحبيّ.

الاثنان معاً : (بصوت واحد) عجيييييييب.

الأول : (محتداً) ما العجيب يا سادة؟

الثاني : العجيب هو أنك تنسى ما فعله الجدار!

الأول : ماذا فعل؟

الثاني : ألم يفرّقنا عن بعضنا وكنا جماعة؟ ألم يفصل بيننا وبين أقرب الناس إلينا؟ ألم يجعل.....

الأول : (يقاطعه) دعني أسألكما: ألم يهبط الجدار من السماء؟

الثاني والثالث يتبادلان النظرات في حيرة وريبة)

الاثنان معاً : نعم.

الثالث : وماذا في هذا!

الأول : لا ينزل من السماء يا صاحبيَّ إلا ما هو مقدس فقط.

الثاني : هل تعني أن هذا الجدار (يشير إليه) واحد من الآلهة؟!

الأول : لا أستطيع قول هذا كما لا أستطيع نكرانه.

الثاني : للآلهة قوى خارقة فما قوة جدارك هذا؟

الأول : أولاً ليس الجدار جداري ولا جداركما، إنه جدارنا جميعاً. ثانياً أنتما تتناسيان ما فعله بنا حين هبط علينا بغضب من الآلهة العظام. ألم تقولا أنه فرّق بين الأم ووليدها، وبين الرجل وامرأته، وبين الولد ووالده، وبين الشقيق وشقيقته فماذا تريدان أكثر من هذا؟ هل تريدان أن يسحقنا بقوته الجبارة الرهيبة حتى تصدقان بقدراته الخارقة. هل تبغيان تحدي الآلهة العظام وأنتما المستضعفان في الأرض؟ مَنْ مِنَ البشر جرؤ على فعل هذا من قبل ولم تهلكْهُ الآلهة؟ (بتأكيد) قولا لي من؟

(يخرج الرجل الذي ظلَّ طوال الوقت يسترق السمع لهم ويغادر مسرعاً دون أن يراه أحد)

الثالث : ومن أين له هذه القوة الرهيبة وهو الأصم؟!

الأول : من الآلهة طبعاً. أنسيت أن كلَّ شيء في هذا الكون يستمد قوته من الآلهة؟ وأن طاقة الروح مستمدة من نفحة صغيرة من أنفاس الآلهة. هل تصدقان أن هذا الجدار الأصم، كما تدعيان، يمكن أن يهبط لحاله من السماءِ إن لمْ يكن هذا بمشيئة الآلهة. من الذي بناه

وجعله على هذا القدر من الصلادة؟ أنت (يشير إلى الثاني) أم أنت؟ (يشير إلى الثالث). اسمعا جيداً. هذه هي مشيئة الآلهة العظام فلا تشككوا بمشيئتها فتنقلب عليكما وعلى أهليكما وبالاً. اطيعوا الآلهة لتحفظكم من شرور هذه الدنيا الزائلة، وتدخلكم الدار الأبدية.

يدخل الرجل الذي كان منذ لحظات يسترق السمع مع الرجل الأول. يقف ثلاثتهم ويهمون باستقباله.

(تتوقف الحركة تماماً في جانب الجدار الأيمن لتبدأ الحركة في جانب الجدار الأيسر)

رجل ٢ : (يسير راجلاً مع شخص آخر سنطلق عليه تسمية الكاهن. يبدو المشهد وكأنه امتداد للمشهد السابق)

اسمع... أنا أعتقد بما تعتقد، وأقدس ما تقدس من الآلهة.

الكاهن : وما أدراك ما أقدس من الآلهة؟

رجل ٢ : لي أساليبي لمعرفة كلِّ شيء يدور هنا.

الكاهن : حسنا... ماذا تريد بالضبط؟

رجل ٢ : اصغِ لما أقول (يخطوان بضع خطوات) الناس هنا بأشدِّ الحاجة لكلينا. أنت تمتلك قوة الهيمنة على عقولهم بالإيمان، وأنا امتلك القوة التي تسيّرهم على وفق إرادتي العظيمة. كن عوناً لي أعطيك ما لم تحلم به من قبل. قل لهم ما تريد الآلهة بالضبط.

الكاهن : وماذا تريد الآلهة بالضبط؟

رجل ٢ : الطاعة.

الكاهن : (ببديهية) طاعة أولي الأمر طبعاً.

رجل ٢ : بالضبط.

الكاهن : وهل أنا منهم؟

رجل ٢ : بل أنت أولّهم بعدي.

الكاهن : وإذن.

رجل ٢ : سيكون لك ما تحتاج من الكهّان الصغار في معبد تشيده بطريقة تكفل فيها رهبة الناس جميعاً لمرآه. حقق لهم ما يحتاجون له من المضاجعة المقدسة (الكاهن ينظر له بارتياح) وقل لهم بإيمان غير قابل للشكِّ إنني ظلُّ الإله على الأرض. أحكم بمشيئته (الكاهن ينظر إليه بخبث) أمْنَحُهم ما يَمنح، وأقودهم إلى حيث يشاء. وإنكَ بتفويض منه قد منحتني بركاته التي أنعم بها عليَّ فجعلني مختاراً حاكماً لهم، وخلفاً له على الأرض. وأنت يا كاهن معبد الآلهة من سيلبسني التاج المقدس بأمر من رب الأرباب آنو العظيم.

الكاهن : فلتباركك الآلهة إذن. ولتجعل لك على الناس سلطاناً وحكماً الى أبد الآبدين. وليجعل لك آنو رب الأرباب في كل خطوة سلاماً وفتحاً مبيناً.

*

المشهد الثالث

الفريقان يعملان في الوقت نفسه على تشييد معبدين مختلفين للآلهة تحت مراقبة جلاد يحثهم على العمل المستمر بسوطه الذي يضرب به الفضاء عادة ليسمعهم حفيفه المخيف.

يسقط أحدهم أرضاً وهو رجل مسن ولا يستطيع النهوض ثانية. يقترب منه الجلاد يضرب بسوطه الأرض قريباً من جسد الرجل المسن. المسن يحاول النهوض لكنه يقع ثانية.

الجلاد : انهض أيها العجوز وإلا أشبعتك ضرباً بهذا السوط الرهيب.

(يجلس عند رأسه) أنت تعرف أن سوطي لا يرحم صغيراً أو كبيراً. الآلهة تريدكم أقوياء لا ضعفاء فانهض يا رجل ولا تطمع برحمتي أنا الذي لا يعرف قلبه الرحمة.

العجوز : عملت ما فوق طاقتي من أجل الآلهة العظام. هذا كل ما أستطيع فعله الآن.

الجلاد : هل تحاول خداعي أيها الرجل الخرف؟ يبدو أنك لم تجرب لسعات سوطي الرهيب من قبل. (ساخراً) وماذا في هذا؟ ها؟ يمكنك أن تجرب الآن فتشعر به حين يلامس جلدك الرقيق كقشر بصلة يابسة.

(ينهض الجلاد)

للمرة الأخيرة أقول لك انهض.

العجوز : (يمدُّ يده للجلاد كي يعينه على النهوض)

الجلاد : (الجلاد يشير لأحدهم بمساعدته. يقف بصعوبة بالغة. يمشي بضع خطوات ثم يسقط مرة أخرى. الجلاد يشير للرجل الذي ساعد العجوز بالعودة إلى عمله)

عدتَ لألاعيبك مرة أخرى أيها الشيخ الخرف. حسنا جرب لذعه ولهيبه إن استطعت. جلدة واحدة حسب.

(يجلده فيتلوّى العجوز على الأرض ثم يبدأ بالبكاء. ترقّ له قلوب الجميع إلا الجلاد الذي راح يرمقه بنظرات شزراء مريبة)

ها؟ ما رأيك بسوطي الرهيب. ألم يحثْك على العمل من أجل الآلهة؟ حسناً جرب هذه.

(يضربه بالسوط ثانية. العجوز يصرخ صرخة خافتة ثم يتوقف عن الحركة) انهض وإلا أشبعتك جلداً.

(يهم بضربه لكن أحد العمال يوقفه)

العامل : ماذا دهاك يا رجل؟ ألا ترى أنه فارق الحياة؟

الجلاد : (بتهكم) حسن أيها الحكيم.

العامل : أنا لست حكيماً، والموت لا يحتاج حكيماً لتتعرف عليه.

الجلاد : إذن... أنت تعرف الموت... هل جربته؟

العامل : لم يسبق لأحد من الأحياء المرور بتجربة الموت.

الجلاد : إذن نحن بحاجة لمعرفته. وأنت خير من يرينا ذلك.

العامل : ماذا تعني؟

الجلاد : سأكون عادلاً هذه المرة. أنت تركت عملك لتناقشني نقاشاً أهوجاً متهرّباً من التعب إلى الراحة فجعلتني أنا الآخر في شاغل عن العمل. وحتى لا تغضب الآلهة عليَّ فأنا سأشبعك ضرباً حتى تتكرم الآلهة عليك فتأخذ أمانتها منك لأنك لم تصن أمانتها.

العامل : هذا هو الظلم بعينه.

الجلاد : بل هو بسوطه أيها المغفل. اخلع رداءك الآن.

(يخلع رداءه. يشير الجلاد لاثنين من العمال ليربطاه فيفعلان. يبدأ بجلده بلا توقف حتى ينقطع نفسه. يدخل رجل ٢ مع مرافق له فيتوقف الجلاد عن الضرب)

رجل ٢ : من أعطاك حق الحكم عليه.

الجلاد : مولاي العظيم. أنا قمت بجلده فقط.

رجل ٢ : ولماذا جلدته فقط؟

الجلاد : لأنه كفر بالآلهة العظام يا مولاي.

رجل ٢ : وقتلته بلا أمر مني.

الجلاد : مولاي المعظم لم أعرف أنه سيموت.

رجل ٢ : الآن عرفت.

الجلاد : اغفر لي يا مولاي زلتي.

رجل ٢ : أتسمي القتل زلّة!

الجلاد : اعذر غفلتي يا مولاي.

رجل ٢ : القانون لا يعذر المغفلين (إلى الرجل الذي جاء معه) اسمع. أنت من الآن ستكون الجلاد العارف بما أريد. اجلد هذا الملعون بلا رحمة حتى يطهره الموت من آثامه كلّها.

الجلاد : الرحمة يا مولاي. الرحمة بعبدك الأرعن.

رجل ٢ : رعونتك أزهقت روحاً، ولا رحمةَ لمن يزهق روحاً بلا إذن مني... هذه هي عدالة السماء التي حمّلني إياها آنو العظيم لأحكم في الأرض إلى أبد الآبدين.

(يستمر الجلاد الجديد بجلد الجلاد القديم حتى تفارقه الأنفاس. نسمع صوت عواء طويل في نهايته تطفأ الأضواء فيظلم المسرح.)

*

المشهد الرابع

رجل ١ : (يقف وسط مجموعته. يخاطبهم بلهجة تهديد ووعيد) لا أريد أن أدخل الخوف إلى قلوبكم، فقط أردت أن أذكركم بمجد الآلهة، وقوة آنو الذي ليس كمثله بين الأرباب. الكلُّ هنا صار يعرف إنني ظلُّه على الأرض، ومن عليائه يلهمني الحكمة والمقدرة والسطوة والجبروت كي لا أرحم من يكفر بذاته الإلهية العليا، أو يرتكب المعاصيَ، أو يفضل نفسه عليَّ أنا الحاكم باسْمِهِ، والحافظ لناموسه المقدَّس. هل من معترض بينكم؟ (صمت) إذن ماذا تقولون؟

المجموعة : (بصوت واحد) سمعاً وطاعة يا ابن آنو العظيم.

رجل ١ : شعب مطيع. أحسنتم القول.

(ينفرد من بينهم شاب مفتول العضلات بوجه ذي ملامح غاضبة)

الشاب : مولاي.. لا أراك آنو هماً ولا شراً ماذا ستفعل مع هذا الجدار اللعين.

رجل ١ : من أنت... اقترب لأراك جيداً (الشاب يبدأ بالاقتراب من رجل ١) اقترب أكثر (يقترب) أنت شاب وقح تستحق الموت على ما سمعته منك.

الشاب : (تحيط به زمرة رجل١ فيرتبك. يبرك أمامه مستسلماً)

ليعذرني مولاي، وليغفر لي وقاحتي. فأنا ما قصدت الإساءة.

رجل ١ : تعجبني شجاعتك، ولا يعجبني تجديفكَ.

الشاب : لم أقصد التجديف يا مولاي. صدقني.

رجل ١ : حسنا إني مصدقك. انهض (ينهض بهدوء وريبة) عفونا عنك، ولكننا نأمرك بالانضمام لمقاتلينا فان رفضت...

الشاب : لن أرفض يا مولاي. هذا شرف لي لا يمكنني رفضه اطلاقاً.

رجل ١ : (للجمهور) هذا شاب وقح لكنه صادق في قوله إن الجدار لعينٌ فعلاً وإلا لما أمرتني الآلهة بتهديمه. (لغط بين الناس غير مصدقين) نعم أمرتني الآلهة بتهديمه فعلاً.

المجموعة : فليسقط الجدار. يسقط الجدار. يس.....

رجل ١ : (يشير لهم بالتوقف مقاطعاً إياهم)

وأمرتني بتشكيل قوة لمحاربة الأعداء أولئك الذين انشقوا عنّا فصاروا أعداء لنا (يظهر الوجوم على ملامحهم. يهمس كلٌّ منهم للآخر متذمراً)

ما لي أراكم وقد اكفَهَرَّت وجوهكم. هذه مشيئة الآلهة العظام فمن خالفها فإن حكمي عليه لا يقلُّ قسوة عن حكمي على أعداء الآلهة (يلتفت إلى الكاهن). أليست هذه هي العدالة يا كاهن معبد آنو؟

الكاهن : لا فض فوك يا مولاي. إنها عدالة السماء.

رجل ١ (يشير لأحدهم) أنت أيها المواطن؟

مواطن ١ : (يرتبك) مولاي أنا لم أنطق بأي كلام يا مولاي.

رجل ١ : (يتقدم رجل١ بضع خطوات. يشير إلى مواطن آخر) إذن أنت.

مواطن ٢ : أنا (يشير لنفسه) أنا يا مولاي؟

رجل ١ : نعم أنت.

مواطن ٢ : أنا لم أقل شيئاً يا مولاي.

رجل ١ : بل قلت.

مواطن ٢ : لست أنا من تكلم يا مولاي.

رجل ١ : مَنْ تكلَّم إذن؟ (بأمر) قل وإلا قتلتك شرَّ قتلة.

مواطن ٢ : لا أعرف يا مولاي. وحق آنو رب الأرباب لم انطق بكلمة واحدة ولا أعرف من نطق.

رجل ١ : (محتداً يشير لزمرته بتقييد المواطن) وتُقْسِمُ بآنو كذباً!!! إذن حق عليك القتل أيها الكافر، ولا رحمة للكافرين المارقين (يتقدم منه) أتعتبر أعداءنا الذين كفروا بنعمتنا فتبعوا أهواء الأرواح الشريرة أصدقاء لنا بعد أن تركونا بمحض إرادتهم المارقة (يتوجه للناس من حوله) هل من أحد بينكم يرى ما رأى هذا الرجل (صمت مطبق يخيم على الجميع) إذن دعوني أجترح حكم الآلهة (إلى الكاهن)

أيها الكاهن أدْعُ الآلهة كي تمنحني بركاتها في الحكم على هذا الرجل المارق.

الكاهن : سمعا وطاعة يا مولاي.

(يرنو الصمت على الجميع. الكاهن يقوم ببعض الحركات الطقوسية. رجل١ ينظر نحو السماء. ينظر الجميع إلى السماء. شيء يشبه الصاعقة يمرُّ سريعاً أمام أنظارهم الشاخصة فيغمضونها خوفاً وهلعاً)

رجل ١ : (ينظر في عيني المواطن٢ نظرة قاسية ثم تنفرج أساريره. يضع يده على كتف المواطن الذي لا يزال مرتجفاً خوفاً)

محظوظ أنت يا بني. لقد غفرت الآلهة ذنوبك مقابل أن تكون خادماً في معبدها فهل ستقوم بخدمة المعبد؟

مواطن ٢ : سأكون خادمه الأمين يا مولاي.

رجل ١ : (يشير لأحد مرافقيه) هيّئ لنا منهم (يشير للناس) جيشاً بقدرات عالية.

القائد : سمعاً وطاعة يا مولاي.

رجل ١ : لا تنس إنك قائد جيوش الملك.

القائد : لا لم ولن أنس جلالة الملك.

تطفأ الأضواء).

*

المشهد الخامس

(مع الموسيقى تبدأ الإضاءة التدريجية بالتوهج شيئاً فشيئاً. يظهر الجدار شاخصاً في منتصف المكان. أصوات جماعية تأتي من البعيد. تقترب شيئاً فشيئاً. الأصوات قادمة من جانبي المسرح. تزداد شدَّة وهي تتقدم نحو الخشبة. تدخل مجموعتان من المقاتلين. يتقدم إحدى المجموعتين رجل يحمل تمثال آنو، ويتقدم المجموعة الثانية رجل يحمل تمثال آنو أيضاً. تهجمان على الجدار بقوة وعنف كلٌّ من جانبها مستخدمة المطارق الثقيلة لكنَّ الجدار يظلُّ شاخصاً في مكانه غير متأثر بهجومهما. تتراجع المجموعتان للوراء ثم تتقدمان للأمام بقوة أكبر من ذي قبل. تضربان الجدار بقوة هائلة لكنهما ترتدان إلى الخلف بانكسار. يكرران الهجوم ويرتدان ثانية وثالثة ورابعة حتى يهدهم الإعياء والتعب.

مقاتل ١ : (من المجموعة الأولى) هذا الجدار أقوى منا بكثير. قوتنا تقف أمامه عاجزة.

مقاتل ٢ : (من المجموعة الثانية) هو من الصلادة ما يفوق كلَّ معاولنا ومطارقنا الثقيلة.

مقاتل ٣ : (من المجموعة الأولى) كأنه شيّد من جلمود عجيب.

مقاتل ٤ : (من المجموعة الثانية) حتى الجلمود يتفتت بكثر الطرق عليه. أما هذا فلا سبيل لتفتيت حجارته الصلدة.

مقاتل ٥ : (من المجموعة الأولى) ما الذي جعله منيعاً إلى هذه الدرجة؟

مقاتل ٦ : (من المجموعة الثانية) بل قل من الذي جعله منيعاً إلى هذه الدرجة؟

مقاتل ٥ : ماذا تعني بالضبط!

مقاتل ٦ : اعني إننا نسينا أن الآلهة هي من أنزلته علينا، وهي وحدها القادرة على محوه من الوجود.

مقاتل ٣ : لكن الكاهن والملك هما من أرسلنا لتدميره بأمر من الآلهة فماذا ننتظر؟

مقاتل ٤ : ننتظر المعجزة.

مقاتل ٣ : وهل ستقوم المعجزة بتهديم الجدار؟

مقاتل ٤ : لا شيء في هذا الكون يمنع فعلها الخارق فهي نتاج قوة كونية أو قدرية أكبر منا.

مقاتل ١ : قال الكاهن: إن الملك قادر على اجتراح المعجزات فهو من ينوب عن الآلهة العظام.

مقاتل ٢ : وهل صدقت ما قاله الكاهن؟

مقاتل ١ : (مستفزاً) ماذا تعني؟

مقاتل ٢ : (منتبها لنفسه) ها؟ لا أبداً. لا. لا شيء.

مقاتل ١ : أنت تشكك بكاهن آنو. قلها على مسامع الجميع (الكلُّ ينتبهون له).

مقاتل ٢ : أرجوك لا تجعله يحرّض الملكَ على قتلي.

مقاتل ١ : لكنك طعنت كاهنه من الخلف.

مقاتل ٢ : لم أقصد هذا صدقني.

مقاتل ١ : لا يهم أن أصدقك أنا. المهم أن يصدقك الملك.

مقاتل ٤ : صمتا أيها الرجال، لقد جاء الملك.

رجل ١ : (يدخل رجل١ يتمشى بين القطعات وفي الوقت نفسه يدخل رجل٢ ويقف بين مجموعته ثم تتوقف حركة المجموعة)

لماذا لم تهدّموا الجدار؟ ألم أصدر أمري لكم بتهديمه؟ لماذا هو قائم حتى هذه اللحظة؟ أهو بهذه القوة التي تتفوق عليكم وعلى مطارقكم الثقيلة؟ لماذا تخاذلتم أمام الحجر؟

مقاتل ٤ : مولاي الملك... نحن لم نتخاذل أبداً. الجدار أقوى من كلّ مطارقنا الثقيلة

رجل ١ أهو كذلك حقاً؟ حسناً بقوتي وإرادة الآلهة سأحيل هذا الجدار إلى تراب.

(تتوقف الحركة منتقلة إلى المجموعة الثانية.

مقاتل : أيها الملك المعظم قد خاب ما فعلناه. الجدار أقوى من أن تؤثر فيه مطارقنا الثقيلة.

رجل ٢ : وهل استطلعتم ما يقوم به العدو في الجانب الآخر من هذا الجدار؟

مقاتل : لقد فشلوا هم أيضاً يا مولاي الملك. الجدار لا يهدّم...

رجل ٢ : (يقاطعه بغضب) بل يهدّم... ولكن قبل هذا عليكم أن

تعرفوا أن الجدار ليس عدوَّنا. عدوُّنا الحقيقي يرابط خلف هذا الجدار فحذار من العدو الذي ينتظر لحظة الانقضاض عليكم.

مقاتل : وماذا سنفعل يا مولاي؟

رجل ٢ : سنرابط هنا فان هدَّموه فعلاً سيكون التعب قد هدَّهم تماماً، وإذ ذاك فقط لن يكون بإمكانهم مهاجمتنا وسنكون لهم على أهبة الاستعداد. وسنعمل فيهم قتلاً وذبحاً لا يعرفان الرحمة والرأفة... هل أنتم مستعدون؟

المجموعة : (بصوت واحد) مستعدون.

(تتوقف الحركة هنا لتنتقل إلى المجموعة الثانية)

رجل ١ : ما عجزتم عن فعله جميعاً لن أعجز عن فعله بمفردي. ابتعدوا عن الجدار وسترون بأنفسكم ما منحتني إياه الآلهةُ العظام. تراجعوا إلى الخلف (يتراجعون إلى ما وراء الكواليس) انبطحوا أرضاً (يشير للكاهن فيزرع عبوات ناسفة تحت الجدار ثم يختفي وراء الكواليس) غطّو رؤوسكم بأيديكم. قو أنفسكم جيداً من النار والحجارة.

صوت : وأنت يا مولاي ألا تقي نفسك منها؟

رجل ١ : (غاضباً) اخرس... ابن الآلهة لا يحتاج إلى أن يقي نفسه مما هو قادر عليه.

(يمسك جهاز التحكم عن بعد. يتراجع إلى ما وراء الكواليس)

بقوتي وجبروتي سيتحطم الجدار إلى أبد الآبدين.

(يقوم بالضغط على الريموت فينفجر الجدار انفجاراً مدوياً. تعلو سحبُ الدخان مصحوبة بأصوات الألم وصراخ الفزع والهلع والموت، وإذ تنجلي السحب لا نجد للجدارِ أثراً وقد تناثرت أشلاء بعض من أفراد المجموعة الأولى هنا وهناك. ينهض أفراد المجموعة الثانية. ينظرون إلى الجثث باشمئزاز. يصرخ بهم رجل١)

هجووووووووم.

(يرددون بعده وبصوت واحد)

هجووووووووم.

يلتقي الجمعان في معركة رهيبة دامية لا تستمر طويلاً إذ تستسلم المجموعة الثانية لقلة عددها، وضعف حيلتها. ترمي أسلحتها راكعة. فتقيّد أيديهم يربطون بسلسلة من حديد يجرون بوساطتها إلى خارج المسرح برفقة همهمات كوراليه.

*

المشهد السادس

(يفتح الضوء بحزمة دائرية على كرسي العرش الموضوع على مدرج عال نسبياً والمحاط بزمرة الملك وحاشيته. الموسيقى تتزامن مع الضوء. رجل١ يجلس على العرش. ينهض. ينزل من المدرج المفروش بالسجاد الأحمر. ينحني له الجميع).

رجل ١ : (إلى جمهور النظّارة) سنوات طوال وأنا أعلّمهم الوفاء والطاعة (يستقيمون وقوفاً) لم يكن ذلك سهلاً من دون وسائل ضغط مختلفة فالناس لا تحكم بالكلمات والشعارات حسب، بل بالخوف. الخوف الدائم المستمر. الخوف الذي يصنع الطاعةَ الدائمة والولاء المستمر كي يعرفوا ما يجب عليهم فعله دون غيره من الأفعال. ولو لا هذا وما أنزلته عليهم من العقاب لما استتب الحكم لي كلَّ هذه السنوات (يتحرك بخطوة واثقة) حتى اعتقدت أن الضغط لا يولد انفجاراً، فأنا أضغط عليهم بكلّ ما أوتيت من القوة دون أن يتبع ضغطيَ انفجارٌ مهما كان شكله، أو حجمه، أو قوته.

(يخطو بضع خطوات)

أتذكر حين أَمَرْتُ بصنع تمثال للإله على شاكلتي، ووضعه في مقدمة المعبد قالوا: ما ترانا فاعلين يا مولاي.

قلت: اعبدوه فعبدوه، ولم يكتفوا بعبادته حسب فقد صنعوا على شاكلته عشرات، بل مئات التماثيل التي راحوا يقدمون لها فروض الولاء والطاعة في كلّ بقعة من بقاع الأرض.

هل خدعتهم؟ (صمت. يخطو بضع خطوات) حاشا لي أن أقوم بهذا فابن الإله لا يفعل ما يفعل الفانون. لقد علّمتهم كيف يستخدمون السلاح، وكيف يطورونه حتى تحوَّل السيف إلى بندقية. بندقية آلية تقتل ما شاء لها من القتل فراداً أو جماعات. وعلمتهم أن لا حكم بلا تفويض من الآلهة فقطعت الدرب عليهم كي لا يفكروا يوما بالانقلاب عليَّ أو على عائلتي المقدسة. أمرتهم بصنع المدافع الثقيلة المدمرة التي لا يقف ضد سطوتها سورٌ، أو قلعةٌ، أو ساترٌ من رمل. جعلتهم جيشاً جراراً بسط نفوذي على كلِّ الولايات والأمصار والممالك حتى بتُّ لا أدري بما يدور في بعضها. صرت القوة الأولى التي يتبعها الكلُّ بإيمان مطلق. وصاروا كلما دعوتهم لقتال يصرخون بأعلى أصواتهم:

(نسمع صوتاً جماعياً هادراً من وراء الكواليس أو مسجلاً على آلة التسجيل) "ودينا للجبهة نحارب"

لقد صارت حياتهم بلا معنى دون حرب أو قتال. وأنا من منح حياتهم ذلك المعنى العظيم. ومع كلّ هذا حاول بعضهم

قتلي مرات ومرات حتى حدا بأحد المقربين لي أن يضع كتاباً عن محاولات اغتيالي. وعندما وجدت الإيمان قد ترهَّل وضعف في قلوبهم قدت بنفسي أكبر حملة للإيمان والتوحيد. فأنا سليل الآلهة العظام، وأنا ابن آنو رب الأرباب الذي ليس كمثله في الأرض والسماء.

انقلبت الأمصار على نظامي وراحوا يمنّون أنفسهم بإسقاط النظام فعلّمتهم أن الخروج عن الطاعة يشتت القطيع ويجعل الكلَّ طامعين بالكلّ. وعلى الرغم من هذا كلّه استشرى بينهم الطمع والجشع والفساد إلا مملكتي فقد التزمت الصمت والهدوء وظلَّ الخوفُ رادعَهم الأكبر حتى جاء اليوم الذي أغارت فيه تنانين الشيطان على أرجاء مملكتي العظيمة بسعيرها، ولهيبها، وجحيمها فبددت الأحلام، وخربت النفوس، وشتت وحدة البلاد والعباد فانقلب الكلُّ على الكلِّ، وعمَّ الأرجاءَ شغب وفوضى، وكثر السراق والقتلة. يومها قررت الهبوط إلى العالم السفلي تاركاً ورائي البلاد والعباد وسط نار لا أول لها ولا آخر. وبينما أنا أهبط على سلالم العالم السفلي بسلام مبين سمعت بعض الموتى يقولون مستجيرين بالآلهة من شرِّ ما أتاهم قائلين: يا ويلنا قد جاءنا الجدار. ولم أكن أعرف أنهم كانوا يقصدونني، ويسمونني جداراً. فهل كنت أنا الجدار حقاً؟

(يخلع ملابس التمثيل ويرميها على الخشبة. يتقدم من جمهور النظّارة ويقول جملته الأخيرة)

لكم أن تجيبوا أو تصمتوا إلى أبد الآباد.

تطفأ الأضواء

استراليا ٢٠١٦

مسرحية
أولئك أبنائي

شخوص المسرحية

الأم	أرملة ٥٥ عاماً
الابن	ابنها ٢٥ عاما
الرجل	جارها ٦٠ عاماً
زمرة	من المسلحين الدواعش
المعمم	قاضي الدواعش
الفتى	من ضحايا الدواعش
بلدوزر	سياف الدواعش

مجموعة من عامة الناس وبعض السبايا

سبية	من سبايا الدواعش
علي	٢٥ عاماً
محمود	٢٦ عاماً
كريم	٢٢ عاماً
صادق	٣٠ عاماً
حمزة	٢٧ عاماً
حسن	٢٥ عاماً
جواد	٢٣ عاماً
العسكري	رجل السيطرة
السائق	من معارف الأم
شاكر	من معارف الأم

تفتح الستارة على أنقاض بيوت شبه مهدمة، أو مصابة بأضرار جراء القصف والتفخيخ. رشقات البنادق الآلية الاشتغال لا تزال تلعلع في فضاء المكان بين فينة وأخرى. انفجار قذائف تَتْرى في جو مشحون بالخوف والارتباك. امرأة خمسينية تطلُّ برأسها من وراء جدار نصف مهدم ثم تختفي. تعاود النظر ثانية للمكان الذي تحوَّل إلى أنقاض وخرائب. وإذ تشعر ببعض الأمان تخرج من وراء الجدار. تنظر إلى كل الجهات بتوجس وهي مجللة بالسواد المغطى بالغبار والأتربة. تتحرك بقلق واضطراب ظاهرين. تنظر باتجاه بيتها ثم باتجاهات مختلفة. تقترب من بيتها. تنظر من الشباك إلى داخل البيت. تطمئن. تترك الشباك مع شعورها بشيء من الارتباك. تقف في وسط المكان ترفع يديها إلى السماء داعية.

المشهد الأول

الأم : إلهي اجعل نارَهم علينا برداً وسلاماً بحق كلِّ صاحب حق. إلهي لا تبتلي الأمهات بالثَكَلِ فقد ثكلن من قبل، وفجعن بأقسى الفواجع وما لهن من ذنب بعد أن رزقتهن بفلذات أكبادهن. إلهي لا تخذلني...

(يقاطعها صوت من وراء الكواليس فتفز)

من هناك؟

(يقترب الصوت أكثر)

من هناك؟ (تقترب من مصدر الصوت. تتحرك بارتباك بين بيتها والمكان الذي تراقب منه القادم الجديد. يبدو عليها الخوف أكثر كلما اقترب الصوت. تبحث عن أي شيء تهاجم به القادم من وراء الكواليس. تجد عصا (توثية) تختفي وراء جدار منهدم وتتهيأ للانقضاض. يظهر من راء بعض الأنقاض شاب في الخامسة والعشرين من العمر وإذ تضربه بشكل مفاجئ يتفادى الضربة)

الابن : (صارخاً) أمي ماذا تفعلين. أنا ابنك يا أمي.

الأم : (تهدأ) حمداً لله أنك تفاديت الضربة (بتأنيب شديد) أهذا ما اتفقنا عليه يا ولد! لقد جعلت قلبي يخفق حد الموت.

الابن : لم أكن أعرف أنك تخافين عليهم إلى هذا الحد!

الأم : ولِمَ لا أخاف عليهم؟

الابن : هم غرباء ليس إلا...

الأم : (تقاطعه) أهكذا تفكر بهم؟ (تقلد صوته) غرباء ليس إلا! لم أظنك بهذه السذاجة يا ولدي.

الابن : هل الخوف عليك سذاجة؟

الأم : في مثل هذا الظرف... نعم.

الابن : اسمعيني جيداً يا أمي. بعد مقتل أبي وأخي لم يعد لي في هذه الدنيا غيركِ ولا أريدك أن تفرّطي بحياتك من أجل أي كان.

الأم : لا تكن أنانياً أكثر مما ينبغي (تقترب من النافذة)

الابن : حبي لكِ وتشبثي بحياتكِ ليست أنانية يا أمي، بل هي شعور طبيعي حسب.

الأم : لك الحق... ولكن (تشير إلى داخل البيت) أولئك أبنائي.

الابن : (بحرص) اعلمي يا أمي أن أشدَّ ما يقلقني في هذه الدنيا هو تورطكِ فيما لا يعنيكِ.

الأم : (بنفور) لا أحبُّ سماع هذا الكلام منك.

الابن : ولكن...

الأم : من دون لكن لا أحب سماع المزيد. هل فهمت؟

الابن : (ينظر إليها بلا اكتراث. يهم بالدخول إلى البيت)

الأم : توقف (يتوقف. يلتفت إليها مستسلماً)

الابن : (بشيء من الضيق) ماذا تريدين؟

الأم : (تشير له بالاقتراب منها ثم تتلفت يميناً وشمالاً بحذر. تهمس في أذنه) هل ابتعد الدواعش؟

الابن : حالياً نعم، ولكنهم قد يعودون ثانية.

الأم : ولماذا يعودون؟

الابن : (بنفاد صبر) أنتِ تسألين لماذا وفي بيتك ما يبحثون عنه!... هه (يهم بدخول البيت)

الأم : (توقفه) اسمع إن عرفت أن لك...

الابن : (يقاطعها) لا يا أمي... لا اسمح لك أن تشككي بي. هل تريني على هذه الدرجة من الخسة والنذالة؟ (بفخر) أنا ابن الرجل الذي ضحّى بنفسه لقطع الطريق أمام كومة من جرذانهم السود.

الأم : (بحنان كبير وفخر) هذا هو ابني الذي اعرفه. اقترب (تضمُّه لصدرها باعتزاز) اسمع. راقب المكان جيداً وانا سأدخل عليهم فان اقترب أحد ما لا تنسى الإشارة التي اتفقنا عليها مفهوم؟

الابن : مفهوم يا أمي.

(تهم بالدخول إلى البيت لكنها تتوقف عند الباب. تنظر لابنها تشير له فيجيبها بإشارة منه تطمئنها فتدخل)

لا أظن أننا سنكون بأمان وجرذان الدواعش تستطيع شمَّ روائحهم (يشير جهة البيت أيضاً) من بعد عشرات الأمتار،

فإن اكتشفوا أمرنا، لا سامح الله، فإنهم سيقتلوننا شرّ قتلةٍ وقد لا يكتفون بقتلنا والتمثيل بأجسادنا بل وحرقنا إن تطلب الأمر ذلك وتصوير النار وهي تلتهمنا شيئاً فشيئا. لا أعرف لماذا تجازف أمي بهذا الشكل المخيف وكأنها لم تكتفِ بما جرى لأخي وأبي. هم (يشير جهة البيت) ليسوا إلا غرباء لا يمتّون لنا بصلة من قريب أو بعيد. أنا لست ضدهم بالطبع، ولكن جلَّ ما أخشاه أن تتجدد مأساة والدتي بعد أن دمَّرتها مأساة الابن والزوج. ماذا لو قتلوني ومثّلوا بجثتي أمام عينيها؟! كيف ستتحمل منظراً مؤلماً مثل هذا؟ هل ستتوسل بهم كي يتركونني ويقتلونها بدلاً مني؟ لا استبعد هذا أبداً وهي الأم الرؤوم الذي ينبض قلبها بالطيبة والمحبة والحنان. وماذا أستطيع أنْ افعلَ إنْ هم قتلوها أمامي؟

سيقتلني عجزي وستمزقني صورتها وهي تموت بطيئاً بطيئاً أمام عيني الغارقتين بالهموم والدموع (يتحرك بضع خطوات متمتماً مع نفسه) كان بإمكانهم الخروج والابتعاد عن بيتنا ولكنهم وهم العارفون ببطش الدواعش جعلهم يتشبثون بأذيال والدتي فرأت فيهم صورة أخي وقد فعل به الجرذان ما لا طاقة له على تحمله فمات متأثرا بجراحه الغائرة.

(يسمع أصواتا قادمة نحوه فينتبه لمصدرها. يتحرك بسرعة هنا وهناك في محاولة لاستطلاع المكان، حين لا يرى شيئاً فانه يحاول سماع حركتهم. يطلق صفيراً متقطعاً كصفير الطيور. تخرج أمه مرعوبة)

الأم : (بصوت منخفض) هل جاءوا؟

الابن : لا اعرف... ربما.

الأم : (تقترب من مصدر الصوت بحذر. هامسة لابنها)
أسمعُ صوتَ أقدام تقترب. أكثر الظنِّ أن أحدهم جاء بمفرده.

الابن : سأكمن له ثم أنقض عليه.

الأم : لا يا بني، إن فعلت هذا سيأتون للقبض علينا.

الابن : ما الحل إذن؟

الأم : (تفكر) ادخل إليهم. خذهم إلى المكان الذي اتفقنا عليه. هيا أسرع.

الابن : حالاً يا أمي. لا تحملي هماً سأختبئ وإياهم هناك.
(يدخل البيت مسرعاً. يغلق الباب خلفه والمرأة لا تزال تنظر جهة الصوت. يدخل رجل يبدو على محياه الخوف فترتبك)
ماذا وراءك يا رجل لقد أخفتنا.

الرجل : (يتكلم لاهثاً) هل ما زالوا هناك؟

الأم : (بخوف) لماذا تسأل؟ أثمة خطب ما؟

الرجل : نعم... انهم ورائي

الأم : الدواعش؟

الرجل : بالله عليك يا امرأة سيصلون إلى هنا في ظرف لحظات وأنت تسألين عن الدواعش!

الأم : تعالَ معي لنجلس إلى جانب موقد النار.

الرجل : أنتِ ستجنينني ببرودك هذا. أي موقد وأي نار وهم ورائي؟!

الأم : هدّئ من روعك واجلس قبالتي.

الرجل : كيف أجلس وهم سيدخلون علينا؟ ماذا جرى لك يا امرأة؟

الأم : قلت لك اجلس ولا تخف (تهمس في أذنه) البيت فارغ الآن.

الرجل : (يتنفس باسترخاء ثم كمن انتبه لشيء مفاجئ) مماذا قلتِ!

الأم : قلتُ إن البيت فارغ. لا تخف. كن هادئاً ومسترخياً وكأنك زوجي.

الرجل : (مستفزاً) استغفر الله العظيم من كلّ ذنب عظيم. ما هذا القول يا امرأة؟!

الأم : حسنا حسنا أريد منك إن تمثّل دور الزوج.

الرجل : أي زوج؟

الأم : زوجي.

الرجل : (يساوره الشك) استغفر الله ما هذا الكلام المريب!

الأم : افهمني يا رجل

الرجل : أفهم ماذا؟ هذا جنون

الأم : يا رجل لا تأخذك بي الظنون.

الرجل : لا أبداً ولكن كلامك غير معقول ولا مقبول

الأم : اسمع وافهمني بسرعة فلا وقت نضيعه في الكلام وهم على مبعدة خطوات منا. أنت ستكون هنا بمثابة الزوج كي لا يشكوا بشيء.

الرجل : آآآ فهمت (يجلسان قرب موقد النار)

الأم : انتبه لنفسك لقد وصلوا.

الرجل : استر يا رب (تدخل ثلة من المسلحين بلحى طويلة وملابس غريبة وشعور شعثاء كأنهم المجانين)

داعشي : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرجل : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

داعشي : أخي رأينا بعض المرتدين متوجهين نحو بيتكم، فهل رأيتم أحداً منهم؟

الرجل : قبل أن أجيبك أخي هلا تتفضلون لتناول القهوة معنا؟

داعشي : شكرا لك أخي لا وقت لدينا. أجبني بسرعة.

الرجل : لا لم نشاهد أحداً على الإطلاق.

داعشي : سنفتش البيت إذن.

الرجل : البيت بيتكم فتشوه كيفما تشاؤون.

(يدخل المسلحون الدواعش إلى البيت بينما يظلُّ أميرهم في مكانه)

داعشي : نحن هنا من أجل سلامتكم.

الرجل : تسلمون.

داعشي : آمل أن تكونوا صادقين معنا. أحد أبناء القرية لم يكن كذلك وقد اعتبرناه مرتداً فحكمنا عليه بالذبح.

الرجل : أعوذ بالله من شر الشيطان الرجيم.

داعشي : (بنرفزة) ماذا قلت؟

الرجل : تعوذت من شرّ الردة.

داعشي : أحسنت أخي بارك الله بك.

الرجل : وبك أخي وبكلّ المؤمنين.

(تخرج زمرة المسلحين الدواعش من البيت)

أحدهم : لا وجود للمرتدين هنا.

داعشي : (يشير لهم بالانتشار حول المكان فينتشرون. يلقي نظرة إلى الداخل. الأم والرجل ينظران إلى بعضهما بارتياب. يستدير. يقترب من الرجل. ينظر في عينيه يصيبه بالحيرة والشك)

هل أنت متأكد من عدم وجود المرتدين في بيتك؟

الرجل : (بثبات) نعم متأكد تماماً

داعشي : إن كنت متأكداً فعلاً هل يمكن أن تقول لي ما سر فناجين القهوة التي لم تغسل بعد؟

الرجل : (يرتبك فتحاول الأم إنقاذ الموقف)

الأم : عندما كان الرصاص يلعلع فوقنا اضطررنا لاحتساء القهوة في الداخل.

داعشي : أنتما اثنان فلمن الفنجان الثالث؟

الأم : لابني. كان هنا ثم غادرنا لغرض التسوق.

داعشي : (ينظر لهما بارتياب) حسناً إن صادفتما واحد منهم فعليكم الاتصال بنا فوراً وإلا سيكون مصيركم كمصير المرتدين. مفهوم؟

الرجل : مفهوم أخي (يشير الداعشي لزمرته ليتبعوه) مفهوم (يبتعدون. الرجل يتنفس بعمق. يوجه كلامه للمرأة بينما تقوم بتهييج النار) هل تدركين أنك تلعبين بالنار؟

الأم : كما ترى أريد تهييجها كي لا تبرد القهوة.

الرجل : (بنفاد صبر) أية قهوة؟ هل تريدين أن تجنينني!؟

الأم : ولماذا أجننك؟

الرجل : (بتوسل) أرجوك افهميني... اصغِ لي ولو لحظة واحدة

الأم : حسنا أنا مصغية.

الرجل : لا ينبغي لك أن تضحي بنفسك هكذا.

الأم : هكذا؟... كيف؟

الرجل : لا تتغابي معي أرجوك

الأم : لن أتغابى. قل ماذا تريدني أن أفعل؟

الرجل : (بانزعاج) لا شيء (يقف) لا شيء (يهم بالمغادرة)

الأم : قف يا رجل. هل أغضبك كلامي؟

الرجل : بل فعلك (يقترب منها) أنت لا تدركين مدى الخطورة من فعلك الجنوني هذا.

الأم : ماذا تعني؟

الرجل : أنت واحدة منا... وكان زوجك رحمه الله نعمَ الصديق ونعمَ القريب، ولم يصدف أن تصرف بما يسيء لأحد أبداً.

الأم : وهل أسأتُ التصرف معكم يوما؟

الرجل : حاشى لله يا امرأة لكنك...

الأم : (مقاطعة لكنني ماذا...

الرجل : (مقاطعا) تخبئين في بيتك زمرة من الهاربين المطلوبين لهم (يشير إلى الجهة التي خرج منها الداعشي وزمرته).

الأم : وماذا في ذلك؟

الرجل : (مكرراً وراءها) وماذا في ذلك! الموت طبعاً. موتك، وموت ابنك، وموتي. ألم تسمعي ما قال أميرهم؟

الأم : سمعت وأنا لا أخشى ما قاله أميرهم (تشير جهة البيت) أولئك أبنائي، وحياتي منذ اللحظة مرتبطة بحياتهم فأما أن أموت معهم أو أن تكتب لنا السلامة جميعاً (يهمُّ بالكلام لكنها توقفه بإشارة منها) أذهب بعيداً ولا تعرّض نفسك للأذى، لن اذكر لهم أي شيء عنك إنْ حصل أي مكروه.

الرجل : سأذهب... ولكنني سأعود ثانية للاطمئنان عليكم (يبتسم لها بفخر ويخرج)

الأم : (تنظر في اثره حتى يختفي) رجل كريم

تطفأ الأضواء

*

المشهد الثاني

{على رصيف أحد الشوارع توجد دكة مرتفعة بعض الشيء. خلف الدكة بعض المباني ذات الطرز العربية الموصلية والأسواق التجارية. مسلحان ملثمان يرتديان الملابس السود يقفان على جانبي الدكّة. خلفهما على جانبي المسرح يتجمهر الناس بوجوه شاحبة وهم ينتظرون المتهم الجديد لينفذ به حكم الإعدام. يصرخ المسلحان: تكبير فيردد الناس بصوت واحد: الله أكبر. يدخل مسلحان آخران مع امرأة وضعوا على رأسها كيساً أسود (هي بحجم المرأة التي رأيناها في المشهد الأول) يتبعهم رجل معمم وضع في وسطه مسدساً. المسلحان يضعان المرأة على الدكة مقيّدة (ظهرها لجمهور النظّارة) ويبتعدان عنها. يتقدم المعمم منها. يشير لأحدهم أن يرفع عنها الكيس الأسود. يتقدم أحد المسلحين فينزع عنها ذلك الكيس ثم يعود إلى محلّه. يفاجأ الناس بها. نسمع بعض تعليقاتهم: لا لا يمكن هذا. إنها امرأة كريمة فاضلة. لا شك أنها بريئة. هذه المرأة لا تقدم على عمل يقودها للقتل. تسود بين الناس الضوضاء. الرجل المعمم يسحب مسدسه ويطلق في الهواء إطلاقة تحذير فيسود الصمت}

المعمَّم : من قال إن هذه المرأة بريئة، وغير مذنبة، ولم تقترف جرماً فليتقدم ويدلي بشهادته علناً أمامي (يوجه كلامه للناس) هل من أحد هنا يشكك بعدالة دولتنا؟ (يمرُّ بالمجموعتين متفقداً إياهما فرداً فرداً. يبدو الخوف والقلق على وجوه المجموعتين)

لا أحد؟ حسنا هذه المرأة قد آوت عدداً من المرتدين ولم تخبر الدولة عنهم. بل تسترت عليهم محاولة إنقاذ أرواحهم المجبولة على الكفر والإلحاد، وقتل المؤمنين من رجالات هذه الدولة، فهي مرتدة مثلهم وللمرتد قصاصه العادل (يصمت لحظة. ينظر في وجوههم) الموت (يصرخ أحد المسلحين بصوت واحد: تكبير، فيردد الناس بعده: الله أكبر).

لقد قُبِضَ عليها بالجرم المشهود، واعترفت بما اقترفت فحق عليها العقاب، وإننا بسم الله نعاقبها علَّ عقوبتها في الأرض تغسل روحها الآثمة فتستقبلها السماء وهي متخلصة من ذلك الإثم القبيح. بسم الحق والعدل وفِقْهِ دولتنا ننزل بها هذا العقاب.

(يطلق من مسدسه إطلاقة تصيبها في مركز رأسها فتسقط على الأرض بينما يصرخ الحراس: تكبير فيردد الناس بعدهم: الله أكبر. يغطيها المسلحان بعباءة سوداء ويجرّانها إلى خارج الخشبة. ينادي المعمم على المتهم الجديد).

المعمَّم : هاتوا المتهم الآخر.

(يدخل المسلحان وهما نفس المسلحين السابقين وهما يجرّان شاباً في مقتبل العمر يبدو عليه الخوف والهلع وهو يقاوم بشدة. يضربه أحدهما فيستكين)

ما الجرم الذي ارتكبه هذا الفتى؟

مسلَّح : لقد سرق بطيخة وادعى انه جائع.

المعمَّم : (للفتى) هل سرقت بطيخة يا فتى؟

الفتى : لم أسرق في حياتي لا بطيخة ولا أي شيء آخر.

المعمَّم : لماذا أنت هنا إذن؟

الفتى : لأنهما (يشير إلى المسلحين) أرادا أن أكون هنا.

المعمَّم : هل تتهم رجال الدولة المؤمنين بالله ورسوله؟

الفتى : أنا لا اتهم أحداً. أنا أقول الحقيقة.

المعمَّم : أية حقيقة؟

الفتى : حقيقة ما فعلوا بي دون أي ذنب.

المعمَّم : هل لديك شهود؟

الفتى : كل الناس شهدوا ما فعلاه بي علانية وجهرا.

المعمَّم : افهم سؤالي وأجب على قدر السؤال فقط. هل لديك شهود؟

الفتى : نعم ولكن لا أحد منهم سيجرأ على قول الحقيقة.

المعمَّم : (متوجهاً للناس) هل رأيتم يا عباد الله كيف يكذّب هذا الفتى علينا، وعليكم، وعلى الله سبحانه وتعالى؟ وكيف يريد توريط الناس بما ليس لهم فيه ناقة ولا جمل؟

الفتى : (بمنتهى الجرأة والتحدي) لا تصدقوا ما يقول. إنهم يريدون قطع يدي ليدخلوا الرعب في نفوسكم.

المعمَّم : أنت لم تسرق حسب، بل تريد التحريض على دولتنا وقد حق عليك الحكم. ليأتي بلدوزر فوراً.

مسلَّح : فوراً مولانا القاضي (يخرج. يعود ومعه منضدة توضع عليها ذراعا الشاب. يدخل السياف وهو لضخامته يسمونه بلدوزر. يرتدي الملابس السود أيضا ويضع اللثام نفسه على وجهه وهو يلوح بسيف بتار)

المعمَّم بسم الله وبسم محمد رسول الله نحكم على السارق بقطع يديه. يا بلدوزر

بلدوزر : نعم مولاي القاضي.

: نفذ حكم الله عليه: تكبير.

(يرد الكل وراءه: الله أكبر أحدهم يجرُّ يدي الفتى المربوطتين بينما يقوم الآخر ببترهما بالسيف. يصرخ الفتى صرخة مدوية تهزُّ جدران المسرح، ويصرخ الكلُّ: الله أكبر الله أكبر. يبتسم القاضي. يتقدم نحو الفتى. يستدير نحو الجمهور)

الحمد لله الذي وفقنا لإقامة العدل بين الناس (إلى الفتى) لقد عاقبناك كسارق... والآن سنعاقبك كمحرض على دولتنا وحكم المحرض كحكم المرتد عن الدين،

الموت، ونحن ننفذ حكم الموت عليك.

(يرميه بإطلاقة من مسدسه في مركز الرأس فيسقط على الأرض ويصرخ المسلحون تكبير فيردد الكلُّ بعدهم الله أكبر. فيسود الصمت)

المعمَّم : هل ثمة شيء آخر؟

مسلَّح : لم يبق لهذا اليوم شيء آخر غير انعقاد السوق، والإخوان يريدون إشرافك عليه ليزداد بك بركة على بركة.

المعمَّم : لهم ما أرادوا (يتوجه للناس) ولكم إن تنتقوا من البضاعة ما شئتم بمزايدة علنية. احضروا السبايا.

(تدخل مجموعة من السبايا وقد ربطت كلُّ واحدة منهن بأخرى. يفتح النخاس حبالهن ثم يسحب السبية الأولى من يدها ويجعلها تقف على الدكة الملطخة بالدماء)

من يفتتح الشراء؟

رجل : (مندس بين الخصور) كيف نزايد على ما لا نرى؟

المعمَّم : أصبت كبد الحقيقة. لا يمكن الشراء دون رؤية البضاعة. اكشف عنها يا أخي.

(يقوم النخاس بكشف الخمار)

ها هل هذا يكفي؟

رجل : لا لم يكفِ. نريد رؤية البدن.

المعمَّم : هذا من حقكم أيضاً، ولكم أن تنظروا إليهن ما شاء لكم النظر ولكن بلا اشتهاء وقولوا فقط سبحان الله، وتبارك الله في خلقه جلَّ علاه لتصح الرؤية ويذهب عنكم الإثم. (إلى النخاس) انضو الثوب عنها ودع الناس ترى ليصح البيع والشراء.

(المرأة تحاول ستر نفسها بلا جدوى. تظهر بعض مفاتنها

فينبهر المعمم بها)

توقف... هذه السبية ليست للبيع. إنها لسيدنا الخليفة دام ظله الكريم علينا.

(أحد المسلحين يجرّها ويتركها إلى جانب المعمم. النخاس يجرّ امرأة أخرى من ذراعها ويجعلها تقف على الدكة نفسها. ينضو الثوب عنها فينبهر المعمم بها أيضاً. ينظر النخاس إلى المعمم)

سبحان الله... تبارك في خلقه جلّ علاه. هذه السبية ليست للبيع يا رجل. إنها لدار الخلافة. اعرض السبية الأخرى.

(يجرها أحدهم لتقف إلى جانب السبية السابقة. يقوم النخاس بدوره فيعرض السبية الثالثة. ينضو الثوب عنها فتنكشف مفاتنها فينبهر المعمم بها)

هذه ليست للبيع هي الأخرى. إنها لي (يجرها المسلح إلى جانب سابقتيها) وقبل أن أغادر أريد رؤية الرابعة.

النخاس ينضو الثوب عن الرابعة فينبهر المعمم بجمالها) لتلتحق بي هذه السبية أيضاً.

(يشير لأحد المسلحين بجلب السبايا خلفه. يهم بالخروج لكنه يتوقف. يلتفت إلى النخاس)

إن كانت بضاعتك المتبقية مثل التي لنا فلا تتردد بجلبها إلينا، اقصد إلى بيت الخلافة. هل السيارة جاهزة؟

مسلَّح : جاهزة مولانا القاضي.

المعمَّم : إذن تحركوا على بركة الله.

يخاصر المسلحون الأربعة السبايا الأربع، ويخرجون خلف السيد القاضي فيسود الصمت والدهشة بين الناس جميعاً).

تطفأ الأضواء

المشهد الثالث

داخل بيت الخلافة. بهو كبير على جانبه الأيسر وضع كرسي فخم جداً يشغله الخليفة طوال الوقت وثمة قطع أثاث فخم موزعة هنا وهناك. يفصل البهو (الجانب الأيسر) عن المغطس (الجانب الأيمن) ستارة من القماش الشفاف يتيح للخليفة رؤية ما يجري خلفه. المغطس محاط بأجمل النساء شبه العاريات. باقات من الزهور موضوعة داخل أصص أمام الجدار المواجه لجمهور النظّارة.

سبية : (واحدة من سبايا المشهد السابق) أخذني ذلك المعمَّم مع من أخذهن إلى بيت الخلافة. لم أكن الأجمل بين السبايا، ولم أكن اعرف ما معنى أن تكون المرأة سبية قبل الآن. كنت أظن أن ما يروى عن السبايا في الأدب العربي القديم مجرد حكايات حسب.

ألبسوني ملابس تشبه ملابس الراقصات فبدوت شبه عارية. أمروني أن أقدم الطعام للخليفة ففعلت. كان الخليفة يبحلق فيما ظهر من مفاتن جسدي فافتتن بي، وبأصبعه أشار إلى جلاسه فخرجوا من البهو، وأشار إليَّ فاقتَرَبَت مني على الفور واحدة من نساء بيت الخلافة وسحبتني من ذراعي إلى خارج البهو الفخم الواسع. أمرت النسوة اللائي يأتمرن بأمرها أن يخلعن ثيابي كلّها

ففعلن فوراً، وبإشارة منها سحبتني إحداهن إلى المغطس (تتجه نحو المغطس) كان الماء دافئاً وله رائحة زكية وكأن المسك قد أذيب فيه. شعرت بالاسترخاء على الرغم من أنني لا اعرف لماذا يقمن بغسلي كما لو كنت أميرة حقيقية. غسلن ذراعيَّ ونهديَّ وظهري وعجيزتي ثم غسلن ما بين ساقيَّ بإتقان. نظرت مصادفة إلى الخلف فرأيت الخليفة مركزاً نظره عليَّ وهو يداعب لحيته السوداء. حاولت ستر نفسي منه لكن المرأة صفعتني بقوة قائلة:

لا حياء أمام خليفتنا. نظرته لنا رحمة، وتأمُّله لجمالنا رحمة، واشتهاؤه لأجسادنا نعمة فلا تبخلي عليه بشيء إن أراد منك شيئاً، وإياك إياك أن تتمنعي بدافع الحياء. كوني منقادة لشهوته، منفذة لإرادته، وحريصة على إشباع رغبته، ولا تجعليه يملُّ منك فيرميك لاتباعه المهوسين بالنساء والذين تفوق رغباتهم رغبات الوحوش الكواسر فيمزقون جسدك الغض شرَّ تمزيق. ستكونين الليلة عروساً له فإن رضا عنك ستظلين في سريره حتى يأذن له الله.

كنت أشعر بالرعب في داخلي وأنا أتابع حركة أصابعه على لحيته وما سوف يفعله بي، وكنت في حيرة من أمري هل أرضيه فأتجنب وحوشه الكواسر، أم أقاومه فاخسر عفتي؟ تخيّلت وحوشَه وهم ينقضّون عليَّ دفعة واحدة وبلا

مقدمات ينهشون جسدي نهشاً. يخترقون كل فتحة فيه حتى مساماتي. شعرت بالاختناق مما سيفعلونه بي ثم يرمونني على واحدة من مزابلهم. صَرَخَت بي المرأة:

- (تقلد صوتها) هيه أنت بماذا تفكرين؟

- لا لا شيء أفكر به وهل لمثلي الحق في أن تفكر؟

(صفعتني مرة أخرى محذرة. تقلد صوتها أيضاً)

إياكِ إياكِ أن تقولي هذا ثانية وإلا سوف أرميك لكلاب سيدنا الخليفة.

ترك الخليفة البهو واختفى ولم أعد أرى له أثراً.

ألبسوني ثياباً شفافة تليق بأميرات ألف ليلة وليلة. وأجلسوني على مقعد وثير وفجأة، ومن حيث لا أدري، دخل إلى غرفة المغطس فأشارت المرأة لبقية النساء بمغادرة المكان. أحنت له المرأة رأسها، وهمَّت مغادرة لكنه سألها ما إذا كنتُ قد نطقت الشهادتين في محكمتهم فأجابت بكلمة واحدة: نعم، وغادرت المكان بعد أن صوَّبت نظرَها إليَّ لتذكّرني بما أمرتني القيام به أمام السيد الخليفة.

شاركني الخليفة المقعدَ الذي أجلسوني عليه فشعرت بالخوف يخترق كياني كلّه. كنت خائفة ارتجف مثل ورق الصفصاف لكنه لم يبالِ بخوفي لفَّ يده اليمنى حول خصري بينما ترك الأخرى تداعب نهديَّ. شعرت بالموت يتحرك تحت يده الناعمة، ويجثم بثقله على صدري برهة ثم

يسيح على تضاريس جسمي المرتجف بلا انقطاع. كاد يغمى عليَّ من الرهبة، وفجأة وقف منتصباً وسحبني إليه بقوة. نظر إليَّ شزرا ثم قادني إلى مخدعه. كان السرير فخماً ومحاطاً بقماش شفاف من ثلاث جهات وفوقه سقف من القماش الشفاف أيضاً وقد نقشت عليه آيات قرآنية. دفعني بقوة فسقطت على السرير وهوى بجسده عليَّ حتى انقطع نفسي وشعرت بروحي تغادرني ببطء شديد وتحلّق فوقي. دعوت الله أن يأخذها إليه. وبين الحياة والموت كان الخليفة قد قضى مني وطرا، وتركني في إغماء ثقيل.

عندما أفقت سمعت امرأة المغطس تصرخ بي:

أفيقي يا سافلة. قد دنست دماؤك القذرة سرير مولانا الخليفة.

أفقت وكان دم البكارة لا يزال دافئاً على فراش الخليفة.

أعادتني للرجل المعمَّم الذي حالما رآني ارتسمت على محياه سورة غضب شديد. صفعني بقوة صفعة أسقطتني أرضاً، وركلني ركلة قطعت أنفاسي. احضر سوطاً كان معلقاً – طوال الوقت – على جدار غرفته وراح يسومني مرَّ الهوان، وعندما بدا التعب عليه قال اخلعي ملابسَكِ يا سبية وتمددي على ذاك الفراش. لم أنفذ ما أمرني به فانهال عليَّ بالسوط لاهثاً حتى أدمى ظهري ويديَّ. كنت خائرة القوى ولم يعد بإمكاني تحريك جسدي فانحنى عليَّ. حملني

على يديه ورماني على سريره باستياء. خلع عمامته وملابسه وانقضَّ عليَّ مثلما ينقض الذئب على فريسته نهشاً، وعضاً، وتقطيعاً. كنت أئن تحته من الألم وكان مستمتعاً بأنيني وبانتصاره على عفتي. نادى على أحد حراسه فدخل الحارس إلى الغرفة قال له المعمَّم آمراً:

احمل هذه القذارة إلى غرفتكم. تمتعوا بها بلا مقابل. إنها هديتي لكم يا حراسي.

حملني على يديه إلى غرفة الحرس موجوعة، متألمة، مريضة لا أستطيع الحركة، أو بوصف أدق كنت جثة شبه هامدة. رماني على بسط مفروشة على الأرض، وراحوا يتناوبون على اغتصابي حتى ساعات الفجر الأولى. كانوا كالكواسر فعلاً لا يهمهم ما صرت عليه، ولم يبدو أن مجونهم سيتوقف عند حد معين. في الصباح اتفقوا على بيعي بأي ثمن والتبرع به لبيت مال الخلافة. باعوني لسائق سيارة صغيرة. وضعني المشتري الجديد فيها وانطلق بسرعة قصوى وعندما وصلنا البيت أمرني بالاغتسال. كنت في حالة يرثى لها فلم يقربني في تلك الليلة. في اليوم الثاني حضر لبيته عدد من الرجال وقد سمعته يقول لهم:

انظروا إنها لا تزال مريضة وغير قادرة على الحركة. عودوا غداً لتتمتعوا بها ما شاءت لكما المتعة.

عند أول ساعات الفجر هربت متسللة إلى خارج بيته.

ركضت بكل ما تبقى لي من قوة الحركة ولما وجدتني عاجزة عن فعل أي شيء قررت الدخول لأول بيت يصادفني. طرقت الباب بقوة فخرج لي صاحب الدار طلبت منه الأذن بالدخول فسمح لي. في الداخل هرعت كل العائلة إليَّ أحاطوني بعطف غير متوقع. كنت أروي لهم ما حدث لي وابكي وكانت زوجة الرجل تبكي معي. قال الرجل:

لا تخافي يا ابنتي لن نسلّمك لهم إلا على جثثنا.

سبعة عشر يوما والعائلة تهتم بي كما لو كنت ابنتهم الوحيدة. اشترت لي المرأة ملابس كملابسها لأرتديها، ومنحني الرجل هوية جديدة باسم جديد ورافقاني إلى الحدود، وعلى الحدود ودّعاني بعيون دامعة. ابتعدت عنهما خائفة، وكنت كلّما زادت المسافة بيني وبينهما التفتُ إلى الوراء لأراهما وهما لا يزالان يلوحان لي بأيديهم حتى لم أعد أراهما بعد.

(تطفأ الأضواء تدريجياً، ويعمُّ الظلام)

المشهد الرابع

داخل منزل الأم. غرفة كبيرة. قطع ديكور متواضعة. أرضية الغرفة فرشت ببسط أمام الجدار المواجه لجمهور النظارة وكذلك أمام الجدارين المواجهين بعضهما بعضاً في يسار ويمين خشبة المسرح. الأم تتوسط مجموعة من الشباب بأعمار متقاربة وهم يرتدون الزي المحلي للقرية ويبدو الخوف مرتسماً على وجوههم الشاحبة.

الأم : اسمعوني جيداً. ما من أم حنون تفرط بحياة أبنائها، بل تفرط بحياتها من اجل أبنائها. أنتم أبنائي وستظلّون معي حتى أجد لكم حلاً وطريقة لنجاتكم منهم. سأوفر لكم الأمان على قدر ما أستطيع. وسيظل ولدي حارساً لكم، وراصداً كلّ حركة في الجوار فلا تخافوا ولا تحزنوا وكونوا مطمئنين وعلى يقين من محبتنا لكم. اليوم سأقوم بتهريب ثلاثة منكم فكونوا على استعداد تام. أنت يا علي سيكون اسمك من الآن عبد الكريم عمر أما أنت يا كرار فسيكون اسمك ياسر عبد الله أما أنت يا محمود فسيظلُّ اسمك كما هو. احفظوا أسماءكم ورددوها بينكم وبين أنفسكم.

(تسمع صوتا في خارج البيت فتنهض مسرعة إلى الشباك. يرتبك الشباب ويتحركون بذعر هنا وهناك. أحدهم يصيح بالكل لنهرب إلى الوكر فتوقفهم الأم بحركة منها)

لا أحد يتحرك قبل أن أرى ما يحدث خارج البيت. اهدأوا.

(يسود بينهم الهدوء المشوب بالخوف والحذر)

من هناك يا ولدي؟

الابن : (نسمع صوته فقط) أسمع صوتاً قادماً من بعيد. كونوا على حذر

الأم : يا رب استر عليَّ وعلى أبنائي. تهيأوا للذهاب إلى الوكر (يتكومون أمام منفذ الخروج) لا تتحركوا قبل أن أشير لكم. (تتكلم بصوت منخفض من خلال الشباك) هل تبيّنَ لك شيء وليدي؟

الابن : (يتحدث بهمس لا يسمع)

الأم : ماذا دهاك يا ولد تكلم كي أسمعك. اقترب من الشباك بسرعة.

الابن : (هامسا) رجل واحد قادم إلينا ولا أعرف بعد من هو.

الأم : إذن ادخل وخذ الشباب إلى الوكر.

الابن : لحظة يا أمي. دعيني ألقي نظرة أخيرة.

الأم : بسرعة قبل أن يصل الغريب (تمر اللحظة) ها من القادم؟ قلْ قبل فوات الأوان (يتأخر في الرد على والدته) لا تماطل كثيراً فنخسر كلَّ شيء.

الابن : (صوته من وراء الشباك) أنا لا أماطل يا أمي. سأدخل حالاً.

الأم : ولدي!

الابن : (يدخل مسرعاً فيجفل الكل ويشرعون بالهزيمة فيصرخ بهم) لا... لا تخافوا... إنه جارنا (ترمقه الأم بنظرة تأنيب. تخرج الأم لمقابلة القادم الجديد)

الابن : حسنا... اطمئنوا يا شباب. ليس ثمة ما تخشونه.

الأم : (تدخل بفرح غامر وهي تلوّح بشيء في يدها. عيون الكلّ منشدة إليها) هذا هو أول الفرج... هوياتكم يا شباب (تقرأ الاسم الأول) عبد الكريم عمر. هيه أنت يا عبد الكريم! (لا أحد يجيب) عبد الكريم ماذا دهاك يا ولد! أنت (تشير لعلي)

علي : أنا

الأم : نعم أنت. ألم تحفظ اسمك بعد؟

علي : ها لا لا. أعنى نعم أنا عععبد الكريم.

الأم : إياك إياك أن تنسى اسمك يا ولدي.

علي : لا لا لن أنسى... سأحاول.

الأم : لا تقل لي سأحاول فلا مجال عندنا على الإطلاق.

علي : حاضر.

الأم : (تقرأ الاسم الثاني) ياسر عبد الله.

كرار : حاضر يا أمي.

الأم : أحسنت يا ولدي خذ هويتك (تقرأ الاسم الثالث) محمود اح...

محمود : (مقاطعا إياها وبسرعة) نعم يا أمي. ها أنا ذا أمامك.

الأم : تحظروا للمغادرة فالبنوات تنتظر.

محمود : أي بنوات يا أمنا؟

الأم : زوجاتكم.

محمود : زوجاتنا؟! هل تمزحين؟ من أين جئت لنا بالزوجات ولا زوجات لنا؟

الأم : هل تظن انهم سيسمحون لكم بالمرور بسهولة؟

محمود : آ... فهمت ولكن سيتعرضن للمخاطر بسببنا.

الأم : ليس إن أديتم دوركم كما ينبغي.

محمود : المشكلة في علي فقد غدا كثير النسيان.

الأم : اترك الأمر لله.

محمود : ونعم بالله.

الأم : (من خلال الشباك) هل الطريق آمنة يا ولدي.

الابن : إنها أكثر أمانا من ذي قبل. أسرعي يا أمي.

الأم : (تقبل الشباب مودعة) أراكم بخير. لا تخافوا ابني سيسهر على راحتكم (تخرج مع الشبان الثلاثة. الآخرون يتبعونها فتوقفهم) لا تخرجوا معي. سنلتقي من جديد (تخرج مع الشباب الثلاثة).

صادق : (هامساً) يا شباب بدأ الشك يساورني.

حمزة : ما هذا الكلام يا حمزة. أتشك بأمنا؟

صادق : حاشى لهذه الأم الرؤوم من الشك.

حمزة : (مفكراً) هل تعني (يشير إلى خارج المكان)

صادق : بالضبط.

حمزة : ما العمل يا صادق.

صادق : لا أعرف. هل لأحدكم أي اقتراح مفيد.

حسن : الحق معك يا صادق. أنا أيضا يساورني الشك.

حمزة : كيف؟ ومتى بدأ الشك يساوركما؟

حسن : لقد سمعت ما قاله للأم خارج المنزل.

حمزة : وماذا قال لها خارج المنزل؟

حسن : قال بالحرف الواحد: "اعلمي يا أمي أن أشدَّ ما يقلقني في هذه الدنيا هو تورطكِ فيما لا يعنيكِ" والذي لا يعنيها هو نحن.

حمزة : هذا مجرد خوف طبيعي يا جماعة.

حسن : إن كان هذا طبيعي فعلاً فما معنى أن يقول لها إننا مجرد غرباء. وما معنى أن يقول: "في بيتك ما يبحثون عنه" وهو يقصدنا نحن لا غيرنا؟

صادق : ها؟ هل صدقتم الآن؟

جواد : لا لم نصدق. امرأة مثل هذه لا يمكن أن تنجب أولادا وشاة.

صادق : ولماذا تستبعد هذا ألم يكن ابن طوعة واشياً حين خبأت مسلم بن عقيل في دارها؟

جواد : ذلك أمر مختلف جداً.

صادق : وما وجه الاختلاف فيه؟

جواد : كل شيء.

صادق : اذكر لنا واحدا من الأشياء إن استطعت.

جواد : سمعته يقول لأمه: "لا اسمح لك أن تشككي بي. هل تريني على هذه الدرجة من الخسة والنذالة؟ أنا ابن الرجل الذي ضحّى بنفسه لقطع الطريق أمام كومة من جرذانهم السود."

حمزة : وماذا يعني هذا غير تبرير نيته.

جواد : إن بعض الظن إثم يا جماعة. لا ينبغي لنا الشك في الناس وهم نادرون في خلقهم وكرمهم وشهامتهم (يسمعون صوت قدومه فيسكتون) أسسسسس.

الابن : شباب. لقد أوصتني بكم خيراً وأنا سأنفذ الوصية بالضبط (يوجه كلامه لحمزة) هل تنوب عني لحظات يا حمزة؟

حمزة : حاضر (يخرج حمزة ليحل محل الابن في الحراسة)

صادق : (هامسا في أذن حسن) هل رأيت انه اختار حمزة من دوننا جميعاً. يبدو أن الأمر ينطوي على شيء من التعاون المريب.

الابن : قريبا ينتهون من عمل هويات لكم جميعاً. فان سار كلُّ شيء على ما يرام سنأخذكم جميعاً إلى برّ الأمان.

صادق : إلى أين تأخذونا بالضبط.

الابن : إلى حيثما شاء الله.

حمزة : (يصيح عبر الشباك) أرى بعضهم قادما إلينا.

الابن : انتظر سآتي حالاً. شباب لا تخافوا. كل شيء سيكون على ما يرام (يخرج)

صادق : (هامساً) اقتربت نهايتنا يا شباب.

حسن : ماذا تعني؟

صادق : لا يحتاج الأمر إلى أن تسأل. كلُّ شيء غدا واضحاً الآن.

(يتكومون قرب النافذة. يسمعون الابن وهو يرحب بالقادم الجديد. الذي سلم شيئاً للابن وغادر على عجل)

الابن : (يدخل مع حمزة) فرجت يا شباب (يلوح لهم بيده) وصلت هوياتكم. صار الفرج قريباً (الشباب ينظرون بعضهم بعضاً وهم في غاية الدهشة)

صادق : دعني أضمك إلى صدري يا أخي (يتعانقان)

تطفأ الأضواء تدريجياً

*

المشهد الخامس

المنظر في إحدى النقاط المرورية. عدد من المسلحين منتشرين في أرجاء المكان. مقدمة همر عسكري. أكياس رمل تحيط بنقطة الحراسة. عارضة طريق لإيقاف المركبات قبل الموافقة على مرورها. صوت مركبة قادمة يشير لها العسكري بالتوقف فتتوقف.

العسكري : ترجلوا جميعاً. تقدموا واحدا بعد الآخر (تتقدم الأم أولاً) إلى أين تذهبين يا حاجة ومن معك؟

الأم : أنا ذاهبة لزيارة شقيقتي وهي على فراش الموت. وأولئك أبنائي وزوجاتهم.

العسكري : هل معك بطاقة هوية؟

الأم : نعم

العسكري : دعيني أراها.

الأم : حسنا يا ولدي... هذه هي بطاقتي.

العسكري : (يدقق النظر في البطاقة ووجه الأم) حسنا يا حاجة انتظري هناك (تبتعد عنه بضعة أمتار) أنتن (يشير إلى الزوجات) تقدمن معاً. هيه أنت توقفي. أريني بطاقتك.

الزوجة : (تخرج بطاقتها من حقيبتها اليدوية) خذ. هذه بطاقتي.

العسكري : (يدقق البطاقة) خذي بطاقتك وانضمي للحاجة.

الزوجة : شكراً.

العسكري : تقدم بسرعة. ما اسمك؟

ياسر : ياسر عبد الله.

العسكري : (يدقق الهوية) خذ (يسلمه البطاقة) أنت تقدم. ما اسمك؟

محمود : محمود أحمد (يأخذ منه البطاقة) خذ. أنت تقدم بسرعة (عبد الكريم يرتبك فيصرخ به العسكري) هيه هل أنت أطرش. تقدم. ما اسمك؟

كريم : اسمي أأأأأأأأأ (تسقط الأم جثة على الأرض فتصرخ الزوجات صرخات ألم)

العسكري : (يفاجأ) ماذا حدث لها؟

إحداهن : أمي أمي لا تموتي يا أمي أرجوك (تبكي الأخريان بحرقة وألم ثم للعسكري) أرجوك لقد ارتفع ضغطها ويجب أن نوصلها إلى المستشفى حالاً.

العسكري : وماذا تنتظرون؟ خذوا الحاجّة بسرعة قبل أن تموت. هيا (يصعد الكل إلى السيارة فتنطلق بسرعة مبتعدة عن النقطة المرورية. تتوقف السيارة في الطريق)

محمود : لماذا توقفت؟

السائق : لأطمئن.

محمود : تطمئن على ماذا؟

السائق : على الحاجة.

محمود : اطمئن. الحاجة بخير. انطلق أرجوك ليس الوقت في خدمتنا.

السائق : المستشفى لا يزال بعيدا. هل أنت متأكد من حالتها؟

محمود : (ينظر إلى الجميع مبتسماً) نعم.

السائق : لم افهم.

محمود : يبدو أنك الوحيد الذي لم يفهم. انهضي يا حاجّة ليطمئن عليكِ.

الأم : اطمئن يا ولدي. كنت فقط خائفة على عبد الله بعد أن نسي اسمه الجديد وكاد كل شيء يذهب سدى.

السائق : آ فهمت. فعلاً كان من الممكن أن نكون الآن جميعاً في المعتقل.

الأم : صحيح، وهذا ما كنت أخشاه.

السائق : لقد أنقذتنا جميعاً. شكراً لك أيتها الأم الفاضلة، لننطلق الآن على بركة الله (نسمع صوت محرّك السيارة وانطلاقها وابتعادها عن المكان. يخفت صوت المحرك تدريجياً وتدريجيا تخفت الأضواء)

إظلام

*

المشهد السادس

المنظر: داخل بيت في منطقة آمنة لا يتواجد فيها الدواعش. الأثاث بسيط على الجدار المواجه لجمهور النظارة صورة بألوان باهتة. بضعة كراسي موزعة على المكان. الأرض كلها مفروشة ببسط ومنادر للجلوس عليها. الأم تتوسط الجالسين وعلى الكراسي يجلس بعض المعوقين.

الأم : اسمعوني جيدا. الآن أكملت واجبي وما تحتَّم عليَّ فعله لكم. لقد نجيتكم من الموت ولا فضل لي في هذا عليكم.

محمود : بل أنت متفضلة علينا بأكثر مما نستطيع رده إليك. نحن مدينون لك بأرواحنا فلولاك لكنا قتلى مرميين في النهر الذي امتلأ بالضحايا.

الأم : اسمع يا ولدي. لا فضل لأم على أبنائها وما قمت به نيابة عن أمهاتكم كان يمكن أن تقوم به أي واحدة منهن. ذلك هو حق الأمومة الذي وهبه لنا الله.

ياسر : أنتِ يا أمي قمتِ بما لا تستطيع القيام به أي أم أخرى. كنا جميعا بذمتك. عشرون فرداً كنتِ لهم أكثر من أم، منحتهم العطف والحنان، وانتزعت من قلوبهم الخوف من مواجهة الموت. قدمت لهم ما فوق طاقتك بكثير. كنتِ بأفضالك هذه أكبر مما تفضلت به طوعة على مسلم ابن عقيل.

الأم : ربما أنت على حق.

ياسر : بعد كل ما قمتِ به من أجلنا تقولين ربما! يا لعظمة أمومتك الباذخة (يوجه كلامه لجمهور النظارة) عندما بدأ الدواعش بإلقاء القبض علينا كانت بعض الأمهات ترمينا بحجر، وتقذف في وجوهنا كلمات نابية، وعندما تمكنا من الهرب لم تستقبلنا أي واحدة منهن إلا أنت يا أمي.

الأم : اعذروهن فقد عرف الدواعش كيف يضلوا أغلبهن.

ياسر : ولماذا لم تتمكن الضلالة منك؟ أنا أقول لك يا أمي: لأن قلبك يتسع الجميع، ولا يفرق بين عمر وزيد.

الأم : (تطرق الباب طرقات قوية فيجفل الكل. الأم تقف وتشير للباقين أن لا يتحركوا. تتقدم من الباب الجانبي. تفتحه قليلا وتنظر. تبتسم. تنظر إلى أبنائها وتبسم) يا لغبائي ظننتُ أننا لا نزال هناك وان الدواعش هم من طرق الباب علينا (تلتفت إلى الخارج) تفضل لو سمحت.

شاكر : أقدم لكم السيد شاكر. الرجل الذي نحن بضيافته الآن.

كريم : لنا شرف التعرف على حضرتك. أنا كريم وهذا محمود، أما هذا فهو ياسر.

شاكر : أهلا وسهلا بكم جميعا واعذروا تأخري بالحضور فقد كلفتني أمكم شراء هواتف لكم لتهاتفوا من تظنون انه قادر على أخذكم إلى حيث منازلكم في الجنوب. ولا مانع عندي أن تظلوا هنا ما شاء لكم من الوقت فانا سعيد بوجودكم وكلي فخر بهذه المرأة (يشير إلى الأم) الشجاعة.

الأم : حسنا يا أبنائي. مهمتي قد انتهت وعليَّ العودة الآن.

كريم : كيف تعودين بهذه السرعة؟ ألا تقضين معنا بعض الوقت؟ نحن لا نضمن أن نراك ثانية.

الأم : بل ستروني ثانية هذا ما يخبرني به قلبي.

كريم : حسنا. ابقِ معنا هذه الليلة على الأقل.

الأم : لا أستطيع. سيحل الغروب علينا بعد قليل والبنات معي. علينا أن نغادر الآن.

ياسر : دعينا نشبع من رؤية وجهك يا أمي.

الأم : لا بأس في هذا يا أبنائي ولكن لي كما تعرفون إخوان لكم تركناهم هناك وعليَّ تخليصهم من الدواعش.

ياسر : معك كل الحق يا أعظم أم.

الأم : حسنا دعوني أودعكم واحدا واحدا (تقوم الأم بتقبيل أبنائها الواحد تلو الآخر)

في أمان الله. (تخرج الأم مودعة إياهم. يلحقون بها خارج البيت. يقومون بوداعها ثانية وقد اغرورقت عيونهم بالدموع. يرتفع صوت محرك السيارة ثم يأخذ بالخفوت تدريجياً وتدريجياً تخفت الأضواء ثم تتوقف عند حد معين تتوقف حركة الشخوص توحي بالانطلاق إلى أمام على خشبة المسرح انتظارا لأحداث سيبدأ فعلها في واقع الحياة)

انتهت

*

صدر للمؤلف

١	طقوس صامته ومسرحيات أخرى	دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد	٢٠٠٠
٢	ليلة انفلاق الزمن.. مسرحيات صائتة	اتحاد الكتاب العرب/ دمشق	٢٠٠١
٣	البناء الدرامي في مسرح محي الدين زنكنة/ نقد	دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد	٢٠٠٢
٤	ارتحالات في ملكوت الصمت.. مسرحيات صامتة	دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد	٢٠٠٤
٥	المخيلة الخلاقة في تجربة زنكنة الابداعية/ نقد	منشورات مجلة بيفين/ السليمانية	٢٠٠٩
٦	المقروء والمنظور/ تجارب محدثة في المسرح العراقي	سردم للطباعة والنشر/ السليمانية	٢٠١٠
٧	المكان ودلالته الجمالية في شعر شيركو بيكس/ نقد	دار نينوى للنشر والتوزيع/ دمشق	٢٠١١
٨	قاسم مطرود في مرايا النقد المسرحي/ اعداد وتقديم	دار نون للنشر والاعلام/ القاهرة	٢٠١١
٩	تجليات السرد وجمالياته في قصص زنكنة/ نقد	دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد	٢٠١١
١٠	كتاب الصوامت	دار التكوين للترجمة والنشر/ دمشق	٢٠١٢
١١	التأصيل والتجريب في مسرح عبد الفتاح قلعه جي	اتحاد الكتاب العرب/ دمشق	٢٠١٣

١٢	محيي الدين زنكنة/ الجبل الذي تفيأنا بظلاله الوارفة	منشورات مهرجان كلاويز السابع عشر	٢٠١٣
١٣	شهوة النهايات/ مسرحيات عراقية صائتة	دار الشؤون الثقافية العامة/ بغـــداد	٢٠١٣
١٤	الرسم والفوتوغراف في مدينة البرتقال	قوس قزح للطباعة كوبنهاجن الدنمارك	٢٠١٤
١٥	اشكالية الغياب في حروفية أديب كمال الدين	دار ضفاف/ بيروت	٢٠١٤
١٦	مذكرات مونودرامية/ نصوص مسرحية صائنة	دار ضفاف/ بيروت	٢٠١٥
١٧	المجموعة المسرحية الكاملة/ المسرحيات الصوامت	دار ضفاف/ بيروت	٢٠١٧
١٨	قبل فتح الستار/ نصوص مسرحية صائتة	دار نينوى للدراسات والنشر – دمشق	٢٠١٩

صدر عن المؤلف

١	سيرة كاتب ومدينة	منشـورات مجلة الف/ دمشق د. صالح الرزوق	٢٠١٢
٢	الاتجاه المعاكس في مسرحيات صباح الأنباري	منشورات مجلة الف/ دمشق د. صالح الرزوق	٢٠١٤
٣	المغامرة والإبداع في صوامت الأنباري	دار قوس قزح / الدنمارك	٢٠١٨
٤	صباح الأنباري في مرايا المسرح الجامعي	دار قوس قزح / الدنمارك	٢٠١٨

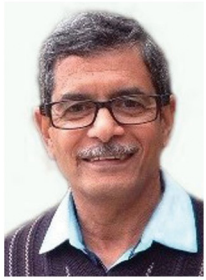

صباح الأنباري

قبل فتح الستار

تمثل مجموعة (قبل فتح الستار) منجزاً متميزاً يضاف إلى منجزات الكاتب المسرحي (صباح الأنباري) في حقل التأليف المسرحي، والمنجز جاء مشحوناً بعاطفة صادقة ممزوجاً بحس الانتماء إلى الوطن محمولاً بهمٍّ الإنسان متوجهاً به إلى إنسانية الإنسان ومدى تفاعله مع محيطه في ظلّ المتغيرات التي قد تطرأ على مجتمعه.

وقد تضمنت المجموعة خمس مسرحيات جسَّد الكاتب من خلالها معاناة الإنسان في فترات قد تصنف بالأشد قسوة في تاريخ العراق حيث برز مسرحه مرتبطاً بالمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك من خلال تسليط الضوء على معاناة الإنسان في ظل الحروب والأزمات.

وقد تميّز أيضا بتقديم صورة الشخصية العراقية بأشكال متنوعة عن طريق توظيف الأساطير وبعض النصوص من الأدب العربي فضلاً عن بعض الشخصيات الحقيقية من الأدب العراقي، وهذا التميز إنما يعود إلى ثراء مرجعية الكاتب وسعة اطلاعه.

أما من حيث البناء فقد اتسمت النصوص في أغلبها أنها قائمة على بناء مسرحيات الفصل الواحد، إلى جانب توافر عناصر العرض المسرحي (السينوغرافيا) من إضاءة وموسيقى وديكور وأمور أخرى من أجل بث إشارات جمالية وتعبيرية تعين على التلقي لدى الجمهور، واهتمام الكاتب بهذه المسألة إنما كان نابعاً من إيمانه بأن النص المسرحي لا يكتب للقراءة فحسب وإنما للعرض على خشبة المسرح، لاسيما وانه عنون المجموعة تحت مسمى (قبل فتح الستار)

د. سلوى جرجيس النجار

نينوى
للدراسات
والنشر
والتوزيع